تُرجمت لأكثر من 14 لغة وتحولت إلى فيلم سينمائي

كيم يونج ها

رواية

حقي في تدمير نفسي

ترجمة:
منار الديناري

صفصافة
SEFSAFA PUBLISHING HOUSE
WWW.SEFSAFA.NET

ضياء
t.me/twinkling4

t.me/twinkling4

منار أحمد الديناري: مترجمة مصرية من مواليد 1992، درست اللغة الكورية وآدابها في كلية الألسن بجامعة عين شمس حيث تخرجت عام 2015، عملت بالمركز الثقافي الكوري بالقاهرة قبل أن تتفرغ للترجمة الأدبية، وتكتب لموقع كوريا نت "البوابة الإلكترونية الرسمية لحكومة كوريا الجنوبية"، صدرت أولى ترجماتها "مولودة عام 1982" عام 2021.

.....

حقي في تدمير نفسي

طبعة 2024

رقم الإيـــــداع: 2023/15071

الترقيم الدولي: 978-977-821-344-7

جميع الحقوق محفوظة ©

عدا حالات المراجعة والتقديم والبحث والاقتباس العادية، فإنه لا يسمح بإنتاج أو نسخ أو تصوير أو ترجمة أي جزء من هذا الكتاب، بأي شكل أو وسيلة مهما كان نوعها إلا بإذن كتابي.

All rights reserved. No part of this book may be reproduced or transmitted in any form or by any means, electronic or mechanical, including photocopying, recording or by any information storage and retrieval system, without permission in writing from the Publisher.

الناشر

محمد اليعلي

إخراج فني

علاء النويهي

الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبّر بالضرورة عن رأي دار صفصافة.

I HAVE THE RIGHT TO DESTROY MYSELF © 1996 by Kim Young-ha and Munhakdongne Publishing Co., Ltd., Korea

"This book is published with the support of the Literature Translation Institute of Korea (LTI Korea)."

تم تجهيز هذه النسخة بواسطة: شروق مجدي.. لصالح مكتبة ضاد الإلكترونية.

SEFSAFA PUBLISHING HOUSE

sefsafapr@gmail.com

دار صفصافة للنشر والتوزيع والدراسات

49 شارع المخزن- العمرانية- الجيزة - مصر

1

موت مارا

أتأمل لوحة (موت مارا) الزيتية لجاك لوي ديفيد والتي يرجع تاريخها لعام 1793. تصور اللوحة جان بول مارا الثائر اليعقوبي مقتولًا في حوض استحمامه، ورأسه ملفوف بمنشفة كالعمامة ويده تقبض على قلم وتتدلى خارج الحوض. ويرقد داميًا محاطًا باللونين الأبيض والأخضر. يغلب على اللوحة طابعٌ هادئ ومهيب كأنما ينبعث من داخلها صوت قداس ما. ويظهر السكين الذي طُعن به مارا في الجزء الأسفل من اللوحة.

حاولت مرارًا إعادة رسم تلك اللوحة. دائمًا ما كان الجزء الأصعب في ذلك هو رسم تعبير مارا. وتكمن المعضلة في الارتياح البادي على مارا بلوحتي، بينما مارا في لوحة ديفيد لا يبدو عليه استياء شاب ثوري في أعقاب غدرٍ مفاجئ، ولا راحة من تركوا مشقة هذه الحياة. كان هادئًا رغم آلامه وناقمًا رغم تفهمه. كل هذه المشاعر المتضاربة داخل النفس البشرية أدركها ديفيد في تعبير يعلو وجه رجل ميت. من ينظر إلى هذه اللوحة للوهلة الأولى تقع عينه على وجه مارا أولًا ليجد تعبيرًا خاويًا لا يعني شيئًا، فينتقل نظره لأحد اتجاهين، إما ليَد مارا التي تقبض على رسالة أو الأخرى المتدلية خارج الحوض. فلم يتخل مارا المغدور عن القلم والورقة

حتى النهاية. كانت الإرهابية التي خدعت مارا برسالة مضللة قد طعنته بسكين في صدره وهو يكتب لها الرد. ويضفي القلم الذي أمسكه مارا حتى اللحظة الأخيرة توترًا ما على هذه اللوحة الهادئة المهيبة. رائع هو ديفيد! فالشغف لا يخلق فنًّا، بل إن السمات الفضلى للفنان هي البرود والجمود.

لفظت شارلوت كورديه -التي اغتالت مارا- أنفاسها الأخيرة على المقصلة. كانت الشابة الجيروندية قد عقدت العزم على قبض روح مارا اليعقوبي، وقد فعلتها يوم الثالث عشر من يوليو عام 1793 عندما كانت في الخامسة والعشرين من عمرها. أُعتقلت كورديه فور وقوع الحادث، وقُطعت رأسها بعد أربعة أيام في السابع عشر من يوليو.

بعد مقتل مارا زعيم اليعاقبة، بدأ روبسبيير عهدًا مرعبًا. كان ديفيد يدرك الجمال الكامن في فلسفة اليعاقبة، فلا يمكن لثورة أن تستمر بدون خوف يشعل وقودها. ومع مرور الوقت تنقلب الآية. فتمضي الثورة قدمًا من أجل نشر الخوف فقط. ولكن من يبث الرعب في النفوس عليه أن يدرك أن لهيب الرعب يمكن أن يستعر ليدركه ويحرقه، وقد أعدم روبسبيير في نهاية المطاف بالمقصلة أيضًا.

***

طويت دفتر الرسم ونهضت. استحممت حيث إنني أحرص دائمًا على نظافتي الشخصية في أيام العمل.

بعد الاستحمام حلقت ذقني بعناية وذهبت إلى المكتبة. وهناك أفعل العديد من الأشياء، أبحث عن مراجع مفيدة وعن عملاء جدد. وهي عملية بطيئة ومملة ولكن عليَّ تحملها. أحيانًا يستغرق الأمر شهرًا وأحيانًا ستة أشهر، لكن بمجرد العثور على عميل يمكنني الصمود في هذه الحياة لنصف عام آخر. لذا فما المانع إذا قضيت وقتًا أطولَ في البحث.

عادةً ما أتصفح كتب التاريخ أو كتيبات السياحة بالمكتبة. كما أني أيضًا عادةً ما أنتهي من عملي وأتقاضى أجره لأسافر. وأعتقد أن كتيبات السياحة تلخص الحقائق المعقدة ببساطة ووضوح، فنجد تاريخ المدن الممتد لمئات السنين وعدد سكانها الذي يتخطى مئات الآلاف بما شهدوه من أحداث يتلخص في بضعة أسطر ولنأخذ هذه المقدمة عن باريس كمثال:

"باريس محراب للحرية الدينية والسياسية والفنية أكثر من كونها مجرد مدينة علمانية. فهي تجعلك تتوق سرًّا إلى المزيد من هذه الحرية بعد زيارتها. اشتهرت بروح التسامح، وكانت ملاذًا للمفكرين والفنانين والثوار مثل روبسبيير، كوري، وايلد، سارتر، بيكاسو، هو تشي مين، جويس، الخميني، وغيرهم الكثير من العظماء.

تضرب باريس مثالًا رائعًا في التخطيط العمراني الفريد بالقرن التاسع عشر. وعلى غرار موسيقاها

وفنها ومسرحها، تتسع هندستها لتشمل كل الأنماط المعمارية من العصور الوسطى إلى الحداثة وما بعد الحداثة. وإن لم تكن باريس -بتاريخها وابتكاراتها وثقافتها وحضارتها- موجودة في عالمنا، لكنا تكاتفنا جميعا لبنائها"

لسنا بحاجة لقول المزيد عن باريس. لهذا استمتع بقراءة كتيبات السياحة وكذلك كتب التاريخ. وقح هو من لا يستطيع الإيجاز، كذلك من يصر على إطالة حياته الفوضوية دون داع. هؤلاء الذين لا يدركون الجمال الكامن في الاختصار والتبسيط يموتون دون معرفة سر هذه الحياة.

سأذهب إلى باريس يومًا ما. وأقضي ساعاتي هناك في قراءة كتابات هنري ميلر وأوسكار وايلد، أو إعادة رسم لوحات انجر في متحف اللوفر. اعتقد أن من يقرأ كتيبات السياحة بعد العودة من الرحلة هو شخص ممل حقًّا. لذلك عادةً ما أقرأ الروايات بعد العودة من رحلاتي. لكنني لا أقرأ الروايات في سيول أبدًا، فالروايات وجبات خفيفة للتسلية فيما يتبقى من العمر.

أتصفح المجلات بالمكتبة أولًا. تثير اهتمامي من بين كل المقالات المقابلات الشخصية. وإن كنت محظوظًا بشكلٍ كافٍ يمكن أن أجد عميلًا محتملًا في إحداها. فالصحفيين ذوي الحس الصحفي الفقير يخفون ميولًا عملائي بين السطور. فهؤلاء

الصحفيون لا يجرؤون على طرح مثل تلك الأسئلة: "هل شعرت بالرغبة في قتل أحدهم من قبل؟" أو"ماذا تشعر عندما ترى دمًا؟". ولا يسألون عن انطباعات ضيوفهم عند رؤية لوحات أوجين ديلاكروا أو جاك لوي ديفيد. لذا تمتلئ مقالاتهم بتزّهات عن الحياة. ولكنهم لا يستطيعون خداعي على أية حال فأنا أرى ما يخفون في طيات كلماتهم الفارغة. ولا بد أن أجد دليلًا ما في كلمات الضيف، إما في تاريخ عائلته الذي أحيانًا ما يتطرق إليه، أو الموسيقى التي يحبها، أو الكتب التي أثارت إعجابه، أو فنانه المفضل. فعادةً ما يميل الناس دون قصد إلى الكشف عن دوافعهم الداخلية انتظارًا لشخص مثلي.

أخبرتني يومًا إحدى العميلات إنها تحب فان جوخ، فسألتها إن كانت تفضل المناظر الطبيعية أو الصور الذاتية من بين أعماله، ترددت لوهلة ثم أخبرتني إنها تفضل الصور الذاتية. دائمًا ما أتأمل أولئك المعجبين بلوحات فان جوخ الذاتية، فهم أرواح منعزلة وأشخاص توحدوا مع ذاتهم ولو لمرة. فهم يعرفون أن التجربة مؤلمة ولكنها ممتعة ومغرية. وإذا سألني أحد عن لوحاتي المفضلة لفان جوخ، فمجرد سؤاله يعني أنه أيضًا شخص وحيد، ولكن لا يجعله ذلك بالضرورة عميل مناسب.

بعد قراءة المجلات أتصفح الجرائد وأقرأ كل شيء بعناية. من صفحة الوفيات إلى إعلانات الوظائف

-خاصة تلك التي تتطلب مواصفات خاصة بالموظف- ثم أدقق في قراءة الصفحة الاقتصادية، وأركز على المقالات التي تتناول حال الشركات التي ازدهرت ثم تدهور بها الحال وأصبحت على وشك الإفلاس. كما أعير انتباهًا لتقلبات البورصة، لأن أسعار أسهم البورصة هي مؤشر مبكر لتغير اجتماعي محتمل. وأطلع أيضًا على صفحة الثقافة وأتفقد الاتجاهات الحالية في المشهد الفني وأنواع الموسيقى ذات الشعبية، وبالطبع أهتم بإصدارات الكتب الجديدة. تساعدني هذه القراءات في التعرف على الأذواق الحالية لعملائي المحتملين. ومعرفتي بالموسيقى والفنون والكتب الرائجة تجعلني قادرًا على خلق حوار حر ومتدفق معهم.

عادة ما أتوقف بمنطقة إنسادونج(1) بعد مغادرتي للمكتبة لألقي نظرة على اللوحات الفنية أو لشراء بعض الأقراص المدمجة من المتاجر الموسيقية. وإن كنت محظوظًا كفاية فربما أقابل عميلًا يتجول بين اللوحات. أراقب الأشخاص الذين ينظرون إلى اللوحات الفنية بعمق وتمعن وبطء شديد دون أن يتفقدوا ساعتهم حتى بعد ظهر عطلة السبت، فهؤلاء ليس لديهم مكان آخر ليذهبوا إليه، ولا ينتظرهم أحد. فيتسمرون لساعات أمام اللوحات التي تأسرهم، وتلك اللوحات تكشف رغباتهم الخاصة.

في المساء، أتوجه إلى مكتبي الذي يوجد في الطابق السابع من مبنى متهالك وسط المدينة.

لا يوجد به سوى هاتف ومكتب وحاسوب. لا أقابل أحدًا هنا. حتى الإيجار الشهري أدفعه بانتظام من خلال الخدمات المصرفية المنزلية، لذلك لست مضطرًا لمقابلة مالك العقار. عندما أصل إلى هنا أعيد تشغيل الهاتف وجهاز الرد الآلي وأجلس منتظرًا رنين أيهما. أتلقى ما يقرب من عشرين مكالمة بحلول الساعة الواحدة بعد منتصف الليل. يهاتفني العملاء بعد رؤية الإعلان المنشور في الصحف "نصغي إلى مخاوفك". ينظرون إلى هذه العبارة البسيطة وينتظرون حلول الليل ثم يتصلون. أتحدث حتى الصباح الباكر مع أشخاص يعانون من مشاكل مختلفة، من فتاة يغتصبها والدها إلى مثلي الجنس على وشك البدء في خدمته العسكرية، وامرأة تتعرض للعنف المنزلي على يد زوجها وأخرى تخونه. هكذا أستمع ليلًا إلى قصص لن أكتشفها قط في مكتبات أو معارض إنسادونج نهارًا. وهكذا أجد عملائي بمنتهى السهولة.

بعد تجاذب أطراف الحديث لبضع دقائق، يمكنني معرفة الخلفية التعليمية للطرف الآخر على الهاتف وذوقه وظروفه الاقتصادية. وبناءً على هذه البيانات يمكنني اختيار عملائي. فمن المهم أن يكون المرء قادرًا على الاختيار الصائب.

ومع ذلك تبقى هناك مشكلة، فحقيقة أن المتصلين ما زالوا يملكون القدرة الكافية على الحوار مع شخص ما، تعني أنهم لم ييأسوا بشكل كافٍ

ليكونوا أحد عملائي. لذا فإنني أتبع نهجًا مختلفًا عن المستشارين العاديين الذين يستمعون إليهم فقط دون تقديم أي بدائل أو حلول. فأنا أعرض آرائي ونصائحي بعد الإصغاء اليهم جيدًّا. لذلك فإن نصيحتي لتلك الفتاة ذات السبع عشرة عامًا التي يغتصبها والدها ويضربها كل ليلة لن تتغير مهما سمعت القصة مرارًا وتكرارًا، وهي فقط أن تهرب. لكن المستشارين العاديين سينصحونها بالبقاء والتحمل والتواصل لطلب المساعدة من المنظمات الاجتماعية أو إبلاغ الشرطة عن والدها متجاهلين جوهر المشكلة، إنها تعرف فعلًا كل هذه الإجراءات ولكنها فقط لم تقم بها.

وإذا استجابت لاستفزازي، فستطول مدة المكالمة لتشعر بالراحة وتفضفض. وعندما أشعر أن الوقت المناسب قد حان أباغت بسؤالي: "إذا كان أباك هكذا فلماذا لا تقتلينه؟". إذا أجابت بحذرٍ، أدعي إنها كانت مزحة. وإن لم تنتهِ المكالمة، فذلك يعني أنها مهتمة برأي. لكنني لا أحرض أبدًا على القتل أو أذى الغير، وهذا الاستفزاز هو مجرد جس نبض لأعرف إن كان المتصل يناسب ذوقي. كل ما أريده هو استخلاص الرغبات المكبوتة في أعماق اللا وعي لعميلي. وبمجرد تحرر تلك الرغبات، تزداد جموحًا. فيتحرر خيالهم لتظهر قابليتهم ليكونوا أحد عملائي.

عندما أتيقن من القابلية ليكون عميلًا محتملًا أقابله، وبالطبع تكون هذه المقابلة خارج المكتب.

أحيانًا نحتسي مشروبًا وأحيانًا نحضر معرضًا أو نشاهد فيلمًا. ونادرًا ما أذهب معه في رحلة إن كان حقًا عميلًا مهمًّا. ولا أعني بذلك من يدفع أكثر، ولكن من يمكنه تحفيز إبداعي. وبالرغم من صعوبة مقابلة مثل هذا الشخص، إلا إنني حين أصادفه تكون سعادتي عارمة؛ لكني لا أظهر ذلك أمامه. فلا يمكن للعميل معرفة أي شيء عني، لا اسمي ولا مسقط رأسي ولا مدرستي ولا حتى هواياتي. وأخفي مفضلاتي بالإسهاب في الحديث وأظل أتهرب من تكهناتهم حتى يهزون رؤوسهم في حيرة كمن يحاول توقع من أي عرق بشري انبثقت حضارة ما. ومن الطبيعي أن أفعل، فلا يجب أن يعرف أحد الكثير عن الإله.

أتحدث كثيرًا مع عميلي عن تاريخ عائلته ونشأته وقصص الحب والنجاح والفشل والكتب التي قرأها وفنانه وموسيقاه المفضلة حتى اللحظة التي أتركه فيها. يروي معظمهم مثل هذه القصص دون مقاومة كبيرة. وعادةً ما يكون المرء صادقًا في تلك اللحظات. وبعد الانتهاء من جلسة الاستماع يريد بعض العملاء فسخ عقدهم معي، وبالطبع أعيد لهم كل أموالهم باستثناء الدفعة الأولى. ومع ذلك غالبًا ما يعودون ثانية. وعندما يفعلون، نعقد الصفقة دون مزيد من الجدال.

عندما أنتهي من مهمتي مع العميل بنجاح أسافر. وعندما أعود من رحلتي أكتب قصتي مع العميل. وهكذا أحاكي دور الإله تمامًا. ففي هذا الزمن

هناك طريقتان فقط ليصبح البشر آلهة، إما الخلق أو القتل. رغم ذلك لا تتحول كل الصفقات إلى قصص، أفعل ذلك فقط مع العملاء الذين يستحقون البعث من جديد عبر كلماتي. وهذا أمر مؤلم ولكنه يعكس حبي وتعاطفي مع عملائي.

قال شكسبير يومًا: "هل من الخطيئة أن نهرع إلى العرين السري للموت قبل أن يجرؤ الموت ويأتي إلينا؟". أما سيلفيا بلاث الشاعرة التي أعقبت الكاتب المسرحي الشهير بمئات السنين ذهبت لأبعد من ذلك بقولها: "إن تناثر الدم شعرًا...لا توجد طريقة لإيقافه". وانتحرت بفتح صمام غاز موقدها.

لم يتحلَّ عملائي بموهبة سيلفيا بلاث الأدبية، لكنهم توجوا نهايتهم بنفس القدر من الجمال الذي أنهت به حياتها. دونت حتى الآن أكثر من عشر قصص تروي حكايتهم. وأنوي أن أهديها إلى العالم على مهل. لا أحتاج إلى مصروفات أو أرباح، فلدي ما يكفي لأعيل نفسي. كما أن ذلك لن يكون لائقًا بعملائي. لذلك نويت إرسال هذه الكتابات في مظروف إلى الناشر دون أي شروط، وبعدها سأختبئ وأختفي وأراقب عملائي وهم يبعثون من جوف كلماتي.

فتحت الحاسوب وبدأت في تحميل الملفات المحمية برمز سري. الملف الأول الذي ظهر كان قصة عميلة طلبت خدمتي الشتاء قبل المنقضي.

(1)-انسادونج: حي يقع في قلب سيول، يشتهر بالمطاعم والمقاهي ومحال السلع التقليدية ومعارض الفن الحديث. (المترجمة).

2

يهوديت

ألم الانبهار في معظم الأحيان...

يجعلني أحلم بطائر خفيف الوزن.

وغيرتي أخف من الهواء.

ولأني أحبك، أريد الاختفاء.

- يوها، "النظر إلى عش هازجة منشوريا"

- إنها تثلج بكثافة

- .....

- كيف حال "ك"؟

كان قد مر خمس ساعات بالفعل. جلست يهوديت و "س" في السيارة على الطريق السريع عند مدخل ممر هان جيه، لا يفعلان شيئًا سوى تشغيل مساحات النافذة الأمامية لدفع الثلج المتراكم فوقها. أشار المذياع إلى أن هذا هو أول هطول للثلوج الكثيفة منذ عشرين عامًا، ويقال إن السبب في ذلك اصطدام منخفض جوي قادم من الصين مع كتلة هوائية باردة من منشوريا. علقت صفوف السيارات بثلوج تصل إلى مصداتها لتصبح سلاسل حديدية عديمة الجدوى.

كان الغسق قد حل ولا يوجد منازل في الجوار. وبحلول الساعة الخامسة، أظلمت السماء التي كانت

قاتمة بالفعل خلال ساعات النهار. كسرت يهوديت الصمت المطبق وقالت:

- دعه وشأنه، من الأفضل ألا يعرف ما يحدث في الخارج.

كانت تقضم أظافرها وتصفر. وعندما كانت المساحة تتوقف، كان الثلج يغطي النافذة الأمامية في غضون ثوان فيحجب رؤية الضوء الخافت للمصابيح الأمامية ويعم الظلام داخل السيارة. لم يستطع "س" حتى رؤية يهوديت التي تجلس بجانبه في المقعد الأمامي، لكن أمكنه فقط تمييز حدود جسدها. بدأ يسترخي ويشعر بعينيه تتحجر إثر الهواء الجاف داخل السيارة.

قالت يهوديت وهي تميل رأسها نحو النافذة:

- وكأنه القطب الشمالي.

- القطب الشمالي؟

- هل تعرف "هيو يونج هو"؟ شاهدته بالأمس على التلفاز في رحلته إلى القطب الشمالي.

- وماذا بعد؟

- كان "هيو يونج هو" يسحب زلاجته باتجاه القطب الشمالي، ولأن القطب الشمالي عبارة عن كتلة ضخمة من الجليد، فهو يطفو فوق المحيط في حركة مستمرة. لذا كان على هيو الدوران حول القطب الشمالي مرارًا وتكرارًا. وعندما تمكن أخيرًا

من الوصول، رفع العلم والتقط صورة وغادر على عجل. حتى في تلك اللحظة كان القطب الشمالي ينجرف إلى مكان آخر.

- لكن القطب الشمالي لا يتحرك فعلًا، كتل الجليد هي التي تتحرك.

- أليس الأمر سيان؟ سواء كنا نحن من نتحرك أو القطب هو الذي يتحرك. ألم يراودك هذا الشعور من قبل؟ عندما تتوقف فجأة في منتصف الطريق وتنظر حولك وتتساءل أين أنا؟

***

كانت ذكرى اليوم الأول الذي قابل "س" فيه يهوديت جلية في ذهنه. كان آخر يوم في عزاء والدته. وعندما عاد من مراسم العزاء وجد "ك" معها في غرفة المعيشة وقد التحم جسديهما ولم يتوقفا حتى عندما صفعت الرياح الباردة جسميهما العاريين عندما فتح باب الغرفة. وكانت صورة والدته المحاطة بشريطة سوداء تراقبهما. كان "ك" أول من لاحظ وجود "س" في الغرفة، فارتدى ملابسه في ملل بينما ظلت الفتاة مستلقية ومغمضة عينيها. أخبرها "ك" أن تدخل إحدى الغرف. عندها فقط فتحت عينيها ونظرت إلى "س"، كانت عينها التي ما زالت تنبض بشهوة غير مكتملة لها بريق أزرق. وكان انطباعه الأول عنها أنها تشبه لوحة جوستاف كليمت "يهوديت" أو "جوديث". كانت يهوديت فتاة

يهودية أغرت الجنرال الآشوري هولوفرنيس وقطعت رأسه أثناء نومه. لكن كليمت اختزل قومية وبطولة يهوديت ولم يترك منها سوى نظرة شبق خلدت عبر الزمان.

أخذت الفتاة التي تشبه يهوديت حمالة صدرها ودخلت الغرفة. سأل "ك" بصوت منخفض ومتهكم وهو يخطو متخبطًا إلى الكرسي المتهالك كمن يزور المنزل لأول مرة:

- ماذا تفعل؟ ألن تدخل؟

رد "س" الذي كان لا يزال واقفًا عند المدخل:

- هذا منزلي.

- نعم، أعلم أنه كذلك. كيف كانت الجنازة؟ سارت على ما يرام أليس كذلك؟ عادة ما تنتهي الجنازات وحفلات الزفاف بشكل جيد بغض النظر عن أي منغصات.

- لماذا لم تأت؟

- هل ستصدقني إن قلت أنني فقط لم أود الذهاب؟

- نعم. ومن تلك الفتاة؟

- مجرد فتاة، فتاة لطيفة. سنبقى هنا لبضعة أيام.

لم يعد "ك" إلى منزله الذي تركه إلا بعد أن تلقى نعي والدته. كانت قد مرت خمس سنوات منذ أن

ترك المدرسة الثانوية وغادر المنزل ومنذ ذلك الحين تغير كثيرًا. قال إنه لن يعود إلى البيت إلا يوم جنازة والدته، ولم يحاول "س" ولا أي شخص آخر ثنيه عن ذلك. ولما كان التراب يغطي نعش والدتهما، كان "ك" يعبث مع يهوديت في المنزل. أحس "س" بالثقل عندما تذكر المجهود الذي بذله في الجنازة مقارنة بالمتعة الجسدية التي شعر بها "ك"، فدخل غرفة نومه ونام بملابسه.

***

لم تهدأ العاصفة. أشار عداد الوقود إلى النصف فقام "س" بإيقاف المحرك توفيرًا للوقود. وهكذا زادت برودة الجو داخل السيارة. كانت درجة الحرارة سالب اثني عشرة درجة مئوية في النهار، فمن المؤكد أنها انخفضت أكثر الآن. لذا قام بتشغيل المحرك مرة أخرى.

- هل مللتِ؟

سأل "س" يهوديت ولكن بدلًا من تلقي إجابة سمع حفيف ملابسها وصوت نقرة. كانت تُميل المقعد إلى الخلف.

- ستنامين؟

- صه.

تراكم الثلج على النافذة الأمامية بغزارة. كان الشعور بالانعزال التام عن العالم مطمئن ومريب في

ذات الوقت. علا صوت حفيف ملابس يهوديت، كما علا صوت نفسها. غالبًا كانت تلعب لعبة ما تحارب بها الملل.

- هل تريدين سماع الموسيقى؟

- همم...

سمع همهمة بالإيجاب وسط أنفاسها المتلاحقة. بحث في شرائط الكاسيت ودفع بأحدهم إلى المشغل. كان شريط البلوز لبي بي كينج. عم أجواء السيارة إيقاع بطيء وهادئ. وسرت تمتمة سريعة كما لو كان من قالها شامان ممسوس. "نعم، أجل، آه، أكثر، أكثر قليلاً". أخذت السيارة تهتز بينما لا يزال الثلج يهطل على نوافذها.

جذبت يهوديت يد "س" اليمنى من على عجلة القيادة ووضعتها بقوة على صدرها بينما تتساقط الثلوج أكثر. تسللت كفه داخل سترتها وداعبها، فشعر بعرق خفيف يسيل على صدرها. احتدت نبرة صوتها "سأقتلك، سأقتلك!" ثم ارتفعت تدريجيًا "اه!". مع الصرخة الأخيرة بدأ جسدها يهدأ شيئًا فشيئًا. اعتصر "س" صدرها بقوة مرة أخيرة قبل أن يسحب يده. تنهدت وهي تُعدل ملابسها وقالت:

- لماذا لم يتغير شيئ رغم كل تلك المسافة التي قطعتها؟ حتى الثلج لم يتوقف!

- وإلى أين ذهبتِ؟

- بعيدًا، بعيدًا جدًّا.

أدار "س" زر الراديو ليسمعا التحذيرات المستمرة من الطقس السيء.

"تم تعليق جميع قطارات السكك الحديدية والحافلات في مناطق وون تونج واينجيه وشول وون. وبحلول السابعة مساءً بلغ ارتفاع الثلوج في منطقة يونجسو اثنين وسبعين سنتيمترًا. كما أصدرت مقاطعة جانج وون أمرًا طارئًا لجميع موظفي الخدمة المدنية بالعمل لساعات إضافية مع التركيز على كسح الثلوج من الطرق. لكن رغم الجهود المبذولة لا زالت عملية الكسح بطيئة للغاية بسبب استمرار العاصفة الثلجية".

***

- إلى أين يا سيدي؟

- باجانج دونج.

- وحضرتك؟

- البوابة الشمالية.

- مرحبًا سيدي، إلى أين تود الذهاب؟

- أوصلني عند البوابة الجنوبية فضلًا.

فاحت رائحة الكحول من سيارة الأجرة. وهدر صوت المدفئة لمواجهة الطقس بالخارج والذي وصل إلى سالب عشر درجات مئوية. امتزج الهواء الجاف

بأنفاس الزبائن الرطبة ليبقي الرطوبة داخل سيارة الأجرة عند المستوى المطلوب. تنفس "ك" بعمق وسحب حزام الأمان ليحكمه حول كتفه وخصره. وأشعره هذا بالتوحد مع سيارة هيونداي ستيلر تي اكس فئة 1994. ضغط برفق على دواسة الوقود بينما أبقى على ناقل الحركة في وضعية الثبات. وشعر بهزة خفيفة تسري في جسده بينما ارتفع مؤشر الحركة إلى أربعمائة دورة في الدقيقة ثم انخفض ثانية. نظر "ك" إلى يساره ودفع ناقل الحركة للغيار الأول وهو يدير عجلة القيادة دورة كاملة. استيقظ الركاب مترنحين بسبب الحركة المفاجئة ونظروا حولهم لوهلة.

في الواحدة صباحًا، كان كل من لم يغادر بعد إلى مقاطعة كيونج جي، يتجول بالقرب من محطة سادانج. دعس "ك" دواسة الوقود ودفع ناقل الحركة الى الوضعية الثالثة، فشعر مع الانخفاض المفاجئ في سرعة المحرك باهتزاز طفيف وغير منتظم، لكنه لم يعِره الكثير من الاهتمام. اتجهت سيارة ستيلر التي اعتادت على السرعة إلى جواتشون وجالت في وسط المدينة بسرعة 130 كيلومتر في الساعة. وعندما أضاءت إشارة المرور بالوميض الأحمر عند التقاطع بالقرب من مضمار سباق جواتشون، أضاءت السيارة المتباطئة أمامه إشارة الانتظار. فألقى "ك" نظرة خاطفة إلى المرآة الجانبية اليمنى ثم قام بتغيير حارته وتخطى الإشارة الحمراء. نظر الراكب

في المقعد الأمامي إلى الخلف بقلق بينما لم يفعل "ك".

كان راضٍ عن أداء سيارته الستيلر تي اكس. هناك من يفضلون سيارات سوناتا أو برينس، ومع ذلك فإن السيارات مثل ستيلر هذه نادرة. فإن هيكل محركها بسيط وقليل الأعطال. وعند التحكم الماهر بها تكون قوتها هائلة. دفع "ك" ألف وون لكشك الرسوم عند بوابة طريق جواتشون-ايوانج السريع، ثم استعاد مائة وون قيمة الباقي. كانت عضلاته قد بدأت بالتشنج قليلًا في هذه المرحلة. لكن كان هذا هو الجزء الأفضل من الطريق لسيارات الأجرة السريعة. وذلك لأنه ذو حارتين بالرغم من ضعف حركة المرور به. ضغط "ك" على دواسة الوقود في اللحظة التي أغلق فيها النافذة اليسرى. وارتفع مؤشر المحرك إلى خمس آلاف دورة. نظر إلى الركاب في المقعد الخلفي، كان معظمهم نائمين ورؤوسهم متدلية إلى الخلف. بينما كان الراكب في المقعد الأمامي فقط مستيقظًا. ربما لم يكن ثملًا بالقدر الكافي، أو أن تلك تجربته الأولى مع سيارات الأجرة السريعة.

وبينما تسرع السيارة، بدا وكأن هناك قوة تسحب جسد "ك" إلى الخلف بفعل قانون القصور الذاتي. حاول جسده الثبات وحاولت ستيلر دفعه إلى الأمام بسرعة عالية، فشعر بدوار طفيف لكنه لم يكن مزعجًا. لطالما كانت هذه هي حركة العالم،

وبالنسبة له الآن كانت ستيلر هي كل عالمه. وكان جسده سيتكيف مع هذه السرعة قريبًا ويعدل سرعته الخاصة، ويخضع قانون القصور الذاتي لسرعة السيارة.

كانت معظم الطرق السريعة بين جواتشون وايوانج معلقة في الهواء ومدعومة بالجملونات والدعامات العلوية. لكن الحواجز العازلة للصوت حجبت تمامًا العالم أسفل الطريق. كما كانت تلك الطرق معتمة أيضًا لأن مصابيح الإنارة المثبتة على جانبيها متباعدة وإضاءتها خافتة. وأنوار المصابيح الأمامية المنبعثة من مقدمة السيارات كانت تضيء فقط حوالي عشرة أمتار أمام كل سيارة مباشرة. ومع السرعات العالية التي تسير بها السيارات، تختفي تلك المسافة في أقل من ثانية واحدة. وتمر كل سيارة عبر الظلام بأسرع ما يمكن. ومثلما لا يرون العالم بالأسفل لا يمكنهم أيضًا رؤية حركتهم على الأرض. فيندفعون إلى الأمام مثل خيل سباق معصوبة العينين.

***

- تسعة.

- ثمانية.

- لدي زوج من الأوراق، ماذا عنك يا كيم؟

- أرفع الرهان.

- تبًّا، لقد خسرت.

أمام محطة سادانج في حانة رثة بزقاق صغير بجانب متجر يعمل على مدار 24 ساعة، سحب "ك" ورقتين هواتو(2) بحذر. ورقة أزهار الكرز والأخرى الجينسنج الأسود، ليصبح مجموعه أوراقه سبعة. خطف نظرة سريعة على تعبيرات الآخرين. وبمجرد أن ألقى أحدهم ورقته بدأ الباقون بتجميع عملات الألف وون.

- انسحب.

رمى "ك" أوراقه. لم يكن لديه فرصة على أي حال. تحركت العيون سريعًا وارتعشت عينا السيد لي سائق الحافلة. لابد وأن أوراقه جيدة، فقد راهن بعشرة آلاف وون كرهان أخير. وحذا السيد كيم حذوه، بينما انسحب الآخرون. كشف لي أوراقه وكانت رابحة على عكس أوراق نده. ربما اعتقد كيم أن لي كان يخادعه، فأزاح مقعده ونهض:

- يا لحظي العاثر اليوم! سأبقى هنا وأعود للعب بعد الجولة القادمة.

لكن بحلول تلك الجولة التي خطط لها، لن يكون هناك أحد بالمكان. وكان كيم أيضا مدركًا لهذه الحقيقة. فكانت كلماته مجرد تحية وداع. وعندما يحين الوقت المناسب، سيخرج كل منهم لقيادة سيارته الأجرة دون أي ندم. في تلك الأثناء سحب "ك" الورقة التي أمامه بحذر مستمتعًا بهذه اللحظة

من التوتر. كانت معه ورقة الجينسنج الأسود بالفعل. تنفس خلسة دون السماح للآخرين بملاحظة ذلك، ثم رفع طرف الورقة بابهامه ببطء. جينسنج أسود أخرى. أصبح لديه زوج من أربع. حاول ألا ينظر إلى أي شيء آخر ليحافظ على تعابير وجه جامدة.

ورقة واحدة فقط ستحدد مصير اللعبة وبعد ذلك يأتي دور الخداع. فلا يجب أن يُظهر سعادة حتى لو سحب ورقة رابحة، ولا يجب أن يُظهر حزن لمجرد أن لديه ورقة خاسرة. ولو تظاهر بالإحباط دائمًا حتى عند المكسب لن ينخدع أحد بتعبيره بعد ذلك. فالسر يكمن في الملامح الجامدة، ووجه لا يعلوه أي تعبير على الإطلاق.

تساءل "ك" إن كانت تلك هي الحياة، حيث تُقسم الأوراق منذ البداية. وربما كانت أوراق حياته ثلاث صور لا قيمة لها، ولا يمكن تبديلها أو الاستفادة منها. فيُترك بين احتمالين لا ثالث لهما، إما أن يكون محظوظًا كفاية لخداع أصحاب الأوراق الرابحة حتى يستسلمون، أو أن يكون لدى اللاعبين الآخرين أوراق أسوأ منه، وعندها فقط يمكنه الربح. ويبقى أمله الوحيد أن تنتهي الجولة سريعًا وقد حصل على أوراق جيدة. لكن حتى لو كانوا ثلاث صور خاسرة، كان سيستمتع حتى نهاية اللعبة.

وضع "ك" بطاقتي الجينسنج الأسود جانبًا وانتظر رهانات الآخرين. ارتفعت الرهانات إلى عشرة آلاف

وون. فأخذ عشرين ألف وون من جيبه كان قد حصل عليها بالعمل في منطقة سو وون في وقت سابق من تلك الليلة ووضعها فوق كومة الرهانات، حدق به الآخرون.

- سحقًا! أراهن بكل ما كسبته اليوم، لكن جولة أخرى لن تضر.

تظاهر "ك" بأن الأمر سيان. وتوقف الآخرون للحظة. كانت هي اللحظة المثالية للهجوم المفاجئ حيث تزداد المخاطرة ويتردد اللاعبون فيتلاشى الملل وينكسر الروتين اليومي. صب "ك" كل تفكيره على ورقتي الجينسنج الأسود وكأنهما آخر العالم، أو كما يقول المثل حين لا تغرد الطيور ولا تجري الأنهار. وفي خضم كل هذا لم يشعر "ك" بشيء، ولا حتى بعضوه الذي انتصب.

ألقى لاعبان رهانهم أسوة بـ "ك" في حالة تردد، ورمى "ك" أوراقه:

- يا إلهي! زوجان متطابقان!

اتجهت أعين اللاعبين إلى تعبير "ك" بسرعة، فقد خسروا مكافأة الجولة التي تعادل عشرين ألفًا وون، فضلًا عن قيمة الرهان. انتظروا الجولة التالية بفارغ الصبر، فلم تكن تلك هي لعبة جو-ستوب(3) الطويلة والتي لا يستمتعون بها كونها لعبة خداع وتحتاج إلى تركيز ذهني عالي. والأهم من ذلك أن لعبة جو-ستوب بطيئة جدًا.

***

انطلقت سيارة ستيلر مسرعة على طريق مظلم بعد نفق جواتشون وكأنما عجلاتها تطفو فوق الطريق. ومع هبوب الرياح تأرجحت السيارة قليلًا. عادةً ما يقول الناس على سيارات الأجرة السريعة أنها تطير، وقد لا يكون هذا مجرد تشبيه. غالبًا ما ينسى "ك" إلى أين يذهب أثناء قيادته على الطريق السريع في وقت متأخر من الليل حيث لا تكون هناك أي سيارات أخرى على الطريق. وكلما زادت سرعة السيارة يضيق مجال الرؤية تدريجيًا، فتبدو الأشجار والإضاءة الجانبية للطريق أكثر نعومة وامتزاج مثل المخاط اللزج، وتلتصق ببعضها وتذوب خلف السيارة. فينتبه دماغه فجأة متسائلًا أين أنا؟

أشار عداد السرعة إلى 180 كيلومترًا في الساعة. وابتلع هدير المحرك وعصف الرياح جميع الأصوات الأخرى وصم أذني "ك". كما أن مجال الرؤية الضيق سلبه الإحساس بالواقع. تذمر الراكب في المقعد الأمامي بشأن شيء ما لكن "ك" لم يهتم. فجأة رأى شاحنة تكافح لتسلق المنحدر، تخطى الشاحنة بتغيير حارته بسرعة، وفي تلك اللحظة كانت كل أعصابه قد شحذت مثل نصل السكين وانتصب عضوه مرة أخرى ثم صفى ذهنه تمامًا بينما كانت كل عضلاته تتحرك تلقائيًا مع حركة ستيلر.

ذهب "ك" إلى كابينة الهاتف بعد إنزال جميع

الركاب أمام البوابة الجنوبية لسو وون. أجرى مكالمة لكن لم يتلق ردًّا. ترى أين ذهبت سيه يون؟ حاول إشعال لفافة تبغ لكن قداحته لم تعمل، يبدو أن الغاز قد نفد بها. بعد عدة محاولات ألقى باللفافة والقداحة بعيدًا وأدخل البطاقة مرة أخرى وضغط على الزر ببطء. راوده شعور بتوتر لا مفر منه أثناء ثواني الانتظار. ضغط على رقم هاتف آخر، لم يرد شقيقه على الهاتف أيضًا. فتح باب الكابينة وطلب من سائق آخر إشعال لفافته بينما تساءل عقله "هل ذهبت إلى أخي؟".

عاد "ك" إلى السيارة وأسرع باتجاه محطة سادانج. بث الراديو تقريرًا عن حركة المرور ينبئ بتساقط كثيف للثلوج في منطقة يونج سو. أحس "ك" أن صوت المذيع الذي قرأ خبر التوقف الكامل لحركة المرور كان متحمسًا بشكل ما. بينما كان يفكر في ذلك، تناثرت ندفات الثلج أكثر فأكثر. تساءل إن كان الثلج يهطل بنفس الكثافة في سيول. إن كان الأمر كذلك فعليه العودة قبل أن يكسو الثلج الطريق. فانطلق مسرعًا في حارة الرجوع.

***

عندما هاتفت يهوديت "س"، كان يأكل البيتزا التي طلبها للغداء.

- لقد مر وقت طويل؟

قال "س" تلقائيا كما لو أنه لم يفكر على الإطلاق:

- حقًّا؟

- أريد الذهاب إلى مكان ما، هل يمكنك اصطحابي إلى هناك؟

- إلى أين؟

- جو مون جين.

- لماذا تريدين الذهاب هناك فجأة؟

- هي مسقط رأسي واليوم عيد ميلادي.

- حسنا، تعالي.

- جيد، سأكون عندك بعد قليل.

هكذا بدآ هذه الرحلة، بدأت تثلج عندما كانا بمنطقة يانج بيونج. وخرج الوضع عن السيطرة عندما وصلا إلى هونغ تشون بإطارات مكبلة بأغلال من الثلج. حتى وصلا إلى النقطة التي علقوا بها، حيث لم يستطيعا الحركة على الإطلاق:

- متى تركتي جو مون جين؟

- جو مون جين؟

- ألم تقولي إنها مسقط رأسك؟

- لا، قلت ذلك فقط لأنني أردت الذهاب إلى أي مكان فجأة.

ردت يهوديت بفتور بينما تصفر، صدم "س".وأراح

يده على عجلة القيادة وأسند ظهره على الكرسي. كانت إذن رحلة بهدف الاختفاء والتبخر فقط.

- وكذبت بشأن عيد ميلادك أيضًا؟

- نعم.

- فهمت. عالم ممتع حقًّا، تزعج الحقيقة الجميع بينما يشعرهم الكذب بالحماس، أليس كذلك؟

- لكنك كنت سترافقني حتى لو لم أكذب!

ربما كانت على حق. كان هناك أوقات يود فيها المرء لو يجد لنفسه أي تبرير. مثلما ترغب في أن يفقد صديقك الذي تثمل معه الوعي، وتتخيله يموت بنوبة قلبية ثم يجتمع الناس إلى جنازته ويشربون نخبه، ويقبرونه، ويغطون نعشه بالتراب، ثم يعودون إلى سيارة نقل الموتى. ولكن بغض النظر عن الطريقة التي يموت بها المرء، فإن العالم يظل كما هو. تمامًا مثل هذا المكان الآن. فبعد أن هطلت الثلوج بكثافة، أصبح الأمر أشبه بالتحديق بشاشة التلفاز لساعات بعد انقطاع البث. أزاحت المساحات الثلج المتراكم على النافذة الأمامية بصعوبة. وكان "س" قد سئم من هذا الظلام وأنار الإضاءة الداخلية للسيارة فاتضحت الرؤية. كانت يهوديت مستلقية على الكرسي الأمامي وتنورتها مرفوعة للأعلى وسترتها منفرجة قليلًا. عندما نظر "س" إليها قالت برتابة جهاز الرد الآلي:

- ماذا؟ أتريد أن نفعلها الآن؟

- لا، أشعر بالإرهاق.

- حسنًا، أخبرني حين تريد.

أغمضت عينيها مرة أخرى وأطفأت الإضاءة الداخلية. شعر "س" بالظمأ فأخرج حلوى من درج وحدة التحكم وامتصها فسال لعابه وروى ظمأه. كانت يهوديت تحب حلوى تشوبا تشوبس. وعندما لا تدخن فهي تلعقها باستمرار. حتى عندما كانت معه بالفراش لم تخرجها من فمها. فدائمًا ما كان يخشى أن تغرز العصا في عينيه، وهو ما فعلته مرة بالفعل فكادت تصيب عينه اليسرى بالعمى. خشى مشاركتها الفراش بعد ذلك لعدة أيام.

استيقظ "س" متأخرًا في اليوم التالي لجنازة والدته وكان رأسه ثقيلًا وقد فقد شهيته بسبب السهر لعدة ليالٍ متتالية. كان في حالة من الخمول واليقظة عقبت إرهاق شديد. مثل الفراغ العاطفي الذي يستجيب فقط لمحفزات محددة. عندما خرج إلى غرفة المعيشة تذكر"س" أن شقيقه كان مع فتاة في ذات الغرفة الليلة السابقة، لكن لم يكن قادرًا على معرفة إذا ما كان المشهد حقيقيًا أم مقطع فيديو. ربما لأنه آفاق لتوه من النوم.

أعد "س" بعض القهوة ففاحت رائحة البن بغرفة المعيشة. فُتح باب الغرفة المقابلة وأطلت منها يهوديت:

- هلا تعد لي فنجانًا أيضًا؟

سكب "س" ما تبقى من القهوة التي أعدها في فنجان وناولها إياه. كان شعرها أشعثًا وبقايا مساحيق التجميل تلطخ وجنتيها وتبدو كأنها قد استيقظت للتو. كانت ترتدي سروالًا قصيرًا وكنزة زرقاء فضفاضة مزينة بشعار جامعة أمريكية مرموقة على الساحل الغربي. وكانت تبدو ضئيلة جدا في هذا الزي.

- تبدين وكأنكِ شخص مختلف في هذه الملابس.

- فاجأناك بالأمس أليس كذلك؟

قهقهت مثل جهاز ضبط رطوبة معطل وأضافت:

- لقد سمعت عنك الكثير.

سأل "س" وهو ينظر نحو الغرفة:

- أين ذهب "ك"؟

- ذهب إلى العمل.

- أي عمل؟

- ألا تعلم أن أخاك طلقة؟

- طلقة؟

- يعمل على سيارة أجرة سريعة، طلقة!

أشارت يهوديت بإصبعين لتكون شكل مسدس

وأطلقت عليه رصاص خفي. جفل "س" لوهلة، وفي تلك الوهلة ومضت بعقله صورة جسدها العاري على أريكة غرفة المعيشة من الليلة الماضية، وأحس أنه على وشك اتخاذ قرار متهور. فقد انجذب إلى حبيبة أخيه الصغير، تلك الفتاة التي تشبه يهوديت. ولم يكن ليلقِ اللوم في هذا على الإرهاق الذي اجتاحه بعد يوم العزاء الطويل.

بعدما فرغت من قهوتها أخرجت يهوديت حلوى تشوبا تشوبس من جيبها ودستها في فمها. وفي الدقائق القليلة الأولى بدت وكأنها تصب كل تركيزها على لعق الحلوى. كانت تنظر إلى العصا عن كثب حتى أصيبت بالحول. كان قد مر وقت طويل منذ أن التقى "س" بامرأة تتلذذ بالحلوى. كان يحتقر النساء اللواتي يمضغن العلكة، فلا يتطلب مضغ العلكة أي خيال، فقط استمر في تحريك فمك ليعود دائمًا إلى وضعه الطبيعي. وأدرك أن الصورة التي طالما أراد رؤيتها هي صورة امراة تلعق الحلوى وتتذوقها ببطء. شتت انتباهه عن أفعالها بقراءة صحيفة اليوم. بينما مددت يهوديت جسدها ووضعت قدميها على الطاولة واتكأت بأريحية على الأريكة واستمرت في لعق الحلوى.

***

- تلك أيضًا كانت لعبة.

كسرت يهوديت الصمت المطبق لفترة. كان الزجاج

الأمامي للسيارة قد غاص مرة أخرى تحت طبقة ثلج كثيفة وأظلمت السيارة.

- عندما نمت معك للمرة الأولى أتذكُر أنني كنت ألعق الحلوى؟ كنت أعلم أنك كنت تنظر إلي لذلك قررت أن ألعب لعبة وأرى ما إذا كنت سأفوز. راهنت أن تأتي إلي قبل أن أنتهي من الحلوى وحينها سأعيش معك، أما إن كنت أتيت بعد أن أنتهي فسأعيش حينها مع "ك"، أليس هذا ممتعًا؟

فتحت نافذة السيارة فتدفقت الرياح الباردة وندفات الثلج. رفعت يدها إلى سقف السيارة وأخذت حفنة من الثلج زوأغلقت النافذة مرة أخرى وأضاءت الإضاءة الداخلية للسيارة:

- لقد تذكرت للتو دعابة أخرى ممتعة.

بدأت تشكل كرة الثلج بسرعة وتكورها لتصبح مثل كرة الجولف. ضحكت ودست كرة الثلج داخل جسدها بينما ما زالت تلعق الحلوى. ارتعشت وارتجف جسدها وعقدت جبينها لفترة طويلة حتى بعدما أخرجت يدها وكأنها ما زالت تشعر ببرودة الثلج داخلها.

في ذلك اليوم عندما قابلت "س" في منزل والدته، دست يهوديت يدها اليسرى داخل سروالها الجينز. قفز "س" من مقعده، فلم تبالِ. أمسكت يمناها بعصا التشوبا تشوبس بينما يدها اليسرى كانت تلامس جسدها. وقف "س" للحظة مشدوهًا لا يعرف ماذا عليه أن يفعل. شاهد كيف تتبدل

ملامحها وتعبيراتها، شعر وكأنما قد فات دهرًا. فتحت عينيها والتقت أعينهما. أشارت له أن يأتي فذهب، واقترب منها فأشارت إلى ظهرها، عانقها من الخلف فانتفضت بعنف فشعر إنها قد جُنت. استرخت بين ذراعيه بعد لحظات فرفعها على الأريكة ومارسا الحب. وبينما كان يفعل ما يفعله كانت يهوديت تلعق التشوبا تشوبس بملل فقد جاء قبل أن تنهي الحلوى. نهض معتذرًا وذهب فورًا للاستحمام. تذكر أنه سمعها تضحك ضحكات خافتة خلفه. وعندما سمع تلك الضحكات أراد فجأة الإستماع إلى موزارت.

***

أشار عداد الوقود إلى الربع وإذا نفد الوقود فسوف يتجمدون حتى الموت. خفض "س" درجة الحرارة داخل العربة إلى أقل مستوى. وكان الثلج ما زال يهطل بكثافة، كما لو كان ثلجًا مزيفًا في الأفلام. عدلت يهوديت زينتها في المرآة المثبتة على حاجب الشمس الأمامي.

- لماذا تصححين زينتك؟

- ليس لدي شيء آخر أفعله.

- أوشك الوقود على النفاد.

قالت وهي تحدد حواجبها بجدية وتبدو غير راضية عن النتيجة:

- هل سنموت هنا إذن؟

- ربما.

- رائع! لا أصدق أنني سأموت مدفونة تحت أكوام الثلج.

- لنترجل بحثا عن أي قرية، إذا اتبعنا الطريق حتمًا سنجد شيئًا في الجوار.

- لا أريد ذلك.

قالتها ولامست شفتيها بعد أن انتهت من رسم حاجبيها.

- لماذا؟

- الجو بارد بالخارج.

- وإذا نفد الوقود، فقريبا سيكون باردًا بالداخل أيضا، و... ألست جائعة؟

- قليلا لكن يمكنني التحمل، افتح الراديو.

بعدما انتهت من زينتها، فاحت منها رائحة تفاح مثل الرائحة التي فاحت من جسد أمه المتحلل. كما تنبعث رائحة قوية من التفاح عندما يتعفن. علت صوت ضحكات فرقة موسيقية ما مع المذيع في الراديو.

- كما تعلمون هناك ثلوج كثيفة في يونج دونج ويونج سو، ألن تذهبوا للتزلج؟

- من الصعب تخصيص وقت لذلك لأننا مشغولون للغاية. جميع أعضاء الفرقة يحبون التزلج ولكننا لم نفعل منذ فترة.

- يا له من امر مؤسف.

استمر المذيع في الثرثرة...

- دعونا الآن نستمع إلى أغنية ثم نواصل حديثنا.

أذيعت أغنية للفرقة التي كانت تمزح للتو وعلى عكس الإيقاع المبهج كانت كلمات الأغنية مملة وتتحدث عن الحب الأول.

قال "س" ساندًا وجهه على عجلة القيادة.

- هل تتذكرين حبك الأول؟

- لا، أعتقد أنه كان واحدًا من اثنين، لكنني لست متأكدة أيهما كان. لقد كنت في السادسة عشر من عمري، وعاش ثلاثتنا معًا لمدة شهر تقريبًا. انتهى بي الأمر بمرافقة كليهما ولكني لا أتذكر حقًا من كان الأول. أنا دائمًا هكذا، لا أتذكر أي شيء مضى وانتهى، وتختلط القصص لاحقًا بالأفلام. أحيانًا أعيد مشاهدة شريط فيديو رأيته من قبل فقط لأنني نسيت عنوانه. أعتقد أنه لم يكن هناك ما يستحق التذكر في هذه التجربة. ولكن أحيانًا تعلق أشياء غريبة في ذاكرتي لفترة طويلة، سواء كان ذلك مثل استكشاف هيو يونج هو للقطب الشمالي أو حلقات عالم الحيوان. فأنا لا أستمتع بالدراما والمسلسلات

ولا الروايات، لكن الشيء الوحيد الذي يبقى في ذاكرتي هو عالم الحيوان. أتعلم إن اللبؤة مسؤولة عن الصيد في القطيع لكن الأسد يأكل أولًا، وبعد أن تمتلئ بطنه تأكل الأشبال والإناث. هكذا كانت أمي أيضًا. كانت هي المعيلة للأسرة، ربما كان هذا بسبب حماقة والدي. كانت أمي قد ضبطته مع فتاة في حانة وألقت منفضة سجائر في وجهه، لكن الآن لا أستطيع أن أتذكر حقًا أيًا من وجوههم.

- ولماذا تركتِ المنزل؟

- سألني أستاذي في المدرسة لماذا لم أحضر كتابي معي أخبرته أن والدي مزقه. فسألني عن السبب، قلت إنه يمزق الكتب كلما ثمل، فاتهمني بالكذب. فصرخت أنني لست كاذبة فضربني لأنني وقحة. ولم أعد إلى المدرسة بعد ذلك اليوم. اتصل معلمي بالمنزل بعد فترة انقطاعي الطويلة، فضربتني أمي حتى كدت أموت لذلك هربت. وكأنما قد هربت إلى الجنة. لا أحد يزعجني ولا يتدخل في حياتي، وأصبح بإمكاني أن أثمل وأتبضع وأحب من يحلو لي.

- ألا تفتقدين والدتك؟

- أنت أيضا مثل الجميع، لابد وأن تطرح مثل هذه الأسئلة السخيفة. أنت لا تفهم، ولا تسألني عن هذه الأشياء من الآن فصاعدًا. كم أكره الرجال كثيري الأسئلة، دائمًا ما يخفون الكثير. وإن كان

لديهم ما يودون قوله يشرعون بسؤال الآخرين بدلًا عن الإفصاح بمكنون صدورهم.

أشارت توقعات الطقس بالراديو أنه من المتوقع هطول ثلاثين سنتيمترًا أكثر من الثلوج.

***

عندما عاد "ك" إلى محطة سادانج كانت الثلوج أكثر كثافة. أوقف السيارة وعرج إلى حانة للطلب السريع.

- زجاجة سوجو(4) وحبار مسلوق.

كان الحبار يرقد في استسلام مقطعًا إلى شرائح طويلة على الطبق. حينها تذكر رحلته إلى جو مون جين مع سيه يون. حيث دخلت قوارب الحبار إلى الميناء ساطع الإضاءة قبل بزوغ الفجر، وألقي بالحبار في أكوام على الأرصفة، فتحرك متشابكًا وقذف بعضه الحبر الأسود. شرب هو وسيه يون بضعة أقداح من السوجو، وتناولوا شرائح الحبار النيئة. كانت على دراية كبيرة بالميناء فسألها إن كان الميناء مسقط رأسها، لكنها لم تجب. كانت رائحتها في ذلك اليوم مثل غسول أخيه. سألها إن كانت قد رافقته، فبدت وكأنها تومئ برأسها. طغت رائحة الغسول على رائحة يود البحر وشعر "ك" فجأة بعسر هضم.

لم يكن هناك زبائن بالحانة ربما بسبب تساقط الثلوج. أكل "ك" قطعة حبار بعد أن شرب قدحين

متتاليين. كانت الحانة التي قابل فيها سيه يون لأول مرة في مكان ما بالجوار. حينها ذهب هو والسائقون الآخرون إلى هناك للاستمتاع بالكاريوكي. دخل الخمسة رجال إلى غرفة وطلبوا الجعة، وجاءت سيه يون لتقشير الفاكهة لهم. لم تكن تجيد تقشير التفاح، وبدت شابة على الرغم من ظلال جفونها الأرجوانية الداكنة، ولم تضحك ولو لمرة واحدة فسخط السائقون وسبوها. كيف لبائعة هوى ألا تضحك. جاء صاحب الحانة ووبخها ثم ساقها إلى الخارج. وقد سمعوه وهو يصفعها. وبعد ذلك بقليل عادت وأخذت تضحك بلا توقف. ضحكت من دعابة سيئة وضحكت عندما تذمر أحدهم من رئيسه بالعمل، وعندما قال آخر إن فريق كرة القدم الكوري سيتأهل لكأس العالم. استاء السائقون مرة أخرى ودعاها أحدهم بالخرقاء، فضحكت من ذلك أيضًا. لتساق مرة أخرى إلى الخارج.

بعد أن ذهب جميع السائقين إلى منازلهم، عاد "ك" إلى تلك الحانة وأعطاها بعض النقود وخرجا سويًّا. أخبرته سيه يون إن اليوم هو ذكرى ميلادها، فاحتسيا الكثير من الجعة وقضيا الليلة معًا في نزل بالقرب من محطة سادانج.

- لماذا لم تضحكِي في البداية؟

- لم يكن هناك شيء مضحك.

- إذن لماذا ضحكتِ بعد ذلك؟

- لأن الأمر كان مضحكًا حينها.

كان "ك" كلما ذهب لرؤيتها ادعت أن ذلك اليوم عيد ميلادها فيشربان ويقضيان الليلة معًا. حتى هذا الصباح قالت إنه عيد ميلادها فلم يذهب إلى العمل وظل معها. كانت تثيره كلما ادعت ذلك.

أخبرته بعدما انتهيا إن حلوى تشوبا تشوبس قد نفذت وأن هذه آخر قطعة، فوعدها أن يبتاع لها المزيد في طريق عودته من العمل. تذكر "ك" هذا وتحسس كيس الحلوى بجانبه في الحانة وأخرج واحدة ونزع عنها غلافها ووضعها في فمه بينما يحدق صاحب الحانة في هذا الغريب الذي يحتسي السوجو مع الحلوى.

ترى أين هي الآن؟ هل ذهبت إلى أخيه؟ هذا من يسمي نفسه أخًا دائمًا ما كان يستحوذ على كل شيء. لقد اعتاد على ذلك. هناك أشخاص لا يشعرون بالحرج في الأخذ بلا حساب. كان عندما يفكر في أخيه الكبير تراوده ذكريات كريهة. فعندما كان طفلًا وقبل أن يدخل المدرسة الابتدائية، كان هناك جرو ذو فرو ذهبي جميلٌ حقًّا، دائمًا ما يجلس بين ذراعي "س". ومهما حاول "ك" جاهدًا أن يكسب وده كان الجرو دائمًا ما يركض عائدًا إلى أحضان "س". لم يعرف "ك" السبب حتى يومنا هذا، ولا يريد أن يعرف.

اختفى الجرو ذات يوم من أيام الصيف وعُثر عليه بعد موسم الأمطار في مصب الصرف الصحي

المنحدر من الجبل. أخبرهم الكبار إنه زحف إلى المجاري ولم يتمكن من العودة لضيق المواسير. تعفن الجرو الصغير "بوكشيل" وانفجرت أحشائه، ومكثت جثته على جانب المصرف طوال الصيف ولم يوارِ أحد جسده. لم يستطع "ك" كيف أنهى "س" صحن عشائه في ذات الليلة التي عثروا فيها على الجرو، بينما لم يستطع "ك" الأكل لمدة يومين.

كان والدهما ضابطًا بالجيش، لذا كان "ك" وأخوه يعيشان في وحدة عسكرية. كان "س" رفيق "ك" الوحيد سواء أحب ذلك أو كرهه. لكن كان علي "ك" دفع ثمن اللعب مع أخيه دائمًا. حيث كان "س" يريد المراهنة باستمرار عندما يلعبون الشطرنج أو الطاولة وألعاب الأطفال الأخرى وكان دائمًا ما يفوز. حتى لو فاز "ك" في بعض الأحيان كان ينتهي الأمر دائماً بانتصار شقيقه. أولئك الذين يفوزون دائمًا في النهاية هم فئة مختلفة من البشر. وسرعان ما استحوذ "س" أيضا على كل طوابع "ك" الأجنبية التي أهدتها له ابنة عمه. يتذكر "ك" الطوابع الألمانية التي زينت بصور سيارات، وأحس برغبة في رؤية تلك الطوابع مرة أخرى. وكان هناك أيضا فراشات، لكنها أصبحت رمادًا بعدما علقها أخيه بدبابيس على الحائط.

عندما سمعت سيه يون هذا الحديث ذات مرة سألته:

- لابد أنكما تشجارتما كثيرًا.

- لا، لم أتشاجر مطلقًا مع أخي منذ أن دخلت المدرسة الإعدادية.

- لماذا؟

- عندما كان يعنفني والدنا بسبب درجاتي السيئة أو تدخيني أو هروبي من المنزل، كان "س" دائمًا ما يوقفه. كان يُهدأ والدي ويحدثني باللين ويقنعني دائمًا. اعتقدت أنه الشخص الوحيد الذي يفهمني في عائلتي، وافتقدته كثيرًا عندما تركت المنزل. لكن عندما أفكر فيه الآن أشعر بأنه ثمة شيء مريب علي أن أحذر منه ...

قهقهت سي يون وقالت:

- حمقى! هذا النوع من الرجال هو الأكثر ترويعًا وأكثرهم رعبا من بين زبائن الحانة. يتطوعون بالمساعدة ويعتنون بي إذا تعرضت إلى هجوم. ويعانقوني عندما أتعب ويجففون دموعي عندما أبكي. لكنهم كذلك يصابون بالجنون عندما أتناول حلوى التشوبا تشوبس بالفراش. ويحاولون التملص من دفع ثمن النزل. وفي الصباح يقولون إنهم لا يملكون ثمن سيارة الأجرة. وكل من اشترى لي وجبة عندما كنت معدمة، غالبًا ما سحبني من شعري لاحقا.

رغم كل هذا، كان "ك" يشتاق لشقيقه حقًّا. مثلما

فعل عندما غادر المنزل قبل خمس سنوات. وعندما توقف عن التفكير به شرع في إصلاح السيارات. كان يعيش في غرفة صغيرة مجاورة لمرآب. وعلق على جدارها ملصقًا كبيرًا لسيارة لامبورجيني. كان جسمه يتلطخ بالشحم جراء تغيير الزيت لسيارات الزبائن، لكنه كان يقضي ليله حالمًا. كان يقرأ بنهم مجلات السيارات التي توزع مجانًا على المرائب حتى حفظ مواصفات سيارة مرسيدس-بنز 500. وكان يحتقر سيارات الزبائن التي يصلحها أثناء النهار. فمن السخف رؤية أولئك الذين يقودون سيارات تصل سرعتها ل 180 كيلومترًا في الساعة يتذمرون بسبب أعطال واهية.

ذات يوم، دخلت سيارة بورش إلى المرآب الذي كان يعمل فيه. ونزل مالك السيارة وسار ببطء الى المرآب وابتاع منتجًا مضادًا للتجمد وغادر سريعًا. بدا الرجل في أوائل الثلاثينيات، فتعجب "ك" كيف استطاع في هذا السن قيادة بورش بهذه الأريحية. ورفض عقله تقبل الفكرة. وعندما أدار الرجل السيارة بعدما وضع مانع التجمد في صندوق السيارة، كان هدير المحرك مختلفًا عن أي صوت سمعه "ك" من قبل. لم يستطع أن ينسى نغمته الثقيلة الناعمة القوية. عندها وجد نفسه لأول مرة يريد أن يقتل. صُدم "ك" من هذا الشعور حتى أنه مزق ملصق اللامبورجيني المعلق في غرفته وهو يبكي.

بدأ "ك" يحتسي زجاجة السوجو الثانية، بينما لا

يزال طبق الحبار على وضعه. لم يوجد بالحانة سوى رجلان أكبر سنًّا يثملان في الحانة ويتحدثان عن جزيرة دوكدو(5). قال الرجل الأصلع إنه يجب قصف اليابان. وافق الآخر وأضاف أن على كوريا الإسراع في تطوير أسلحة نووية. أخذ الثلج يهطل بكثافة أكثر، وأخذ "ك" عصا أخرى من التشوبا تشوبس ووضعها في فمه. رأى نسخة ثانية من ساقي الحانة بعد أن احولت عينه اليمنى أو اليسرى قليلا، فازدوجت رؤيته للحظات.

نظرت سي يون بفضول إلى عينه الزائغة وقالت:

- أليس من المرهق أن ترى عالمين؟

- عندما تهدأ أعصابي ترتخي عضلات عينى وتحوَّل إحداهما. اعتدت على ذلك منذ أن كنت طفلًا. لكنها تعود إلى طبيعتها إذا أعرت الأمر انتباهًا. وإن لم أفعل يبدو كل شيء متداخلًا، لكن ذلك لا يزعجني. أنا فقط أختار إحدى الصورتين وأركز عليها.

هزت سي يون رأسها متعجبة لما سمعته للتو، تابع "ك":

- لا أحد يعرف ذلك بخلاف عائلتي، وعندما أكون مع شخص غريب انتبه إلى حركة عيني.

- أليس ذلك مرهقًا؟

- اعتدت الأمر، فالحياة مرهقة على أي حال.

- قلت إن لا أحد يعرف ذلك، فلماذا أطلعتني عليه؟

- لأني أحببت التشوبا تشوبس.

أغمض"ك" عينيه وارتشف ما تبقى من السوجو ودفع الحساب ثم ذهب إلى كابينة الهاتف. دخل وضغط على الأزرار ببطء بلا رد. فلم تتلق سيه يون ولا أخيه مكالماته. ازدوجت رؤيته للعالم مرة أخرى. أخرج حلوى تشوبا تشوبس من فمه وقذفها خارج الكابينة وسار إلى سيارته وفتح الباب وجلس في مقعده. بدأ الثلج يتراكم على نوافذ السيارة. أدار المحرك ثم فتح المذياع، أفاد المراسل إن الثلوج تهطل بغزارة في منطقتي يونج دونج ويونج سو، وقد عزلت القرى الجبلية تمامًا، كما توقف العمل بخط سكة حديد تايبايك وخط جونجانج. ثم قرأ أسماء الأشخاص المفقودين بسبب الانهيار الجليدي. كما أغلقت المدارس وانقطعت الكهرباء والخدمات الهاتفية عن بعض المناطق. ضبط "ك" ناقل الحركة على السرعة الأولى وأدار المحرك، فسمع صوت الإطارات تبرم دون جدوى عدة مرات حتى أخذت ستيلر اكس في المضي قدمًا.

***

- لقد نفذ وقودنا تمامًا.

- أريد الذهاب إلى القطب الشمالي، حيث لا يوجد سوى الثلوج والجليد الأبيض والدببة القطبية تتسكع حولهم. وتصل قوة الرياح إلى ثلاثين مترًا

في الثانية. وأرى الشمس ساطعة طوال الصيف وأطفو فوق المحيط على مدار السنة، ألن يكون هذا رائعًا؟ كما يمكن أن يتصدع الجليد تحت قدمي ويغرق.

- أنا لا أمزح، نحن معزولون تمامًا وتقطعت بنا السبل. وسيظل الثلج يهطل لفترة طويلة. علينا أن نتحرك الآن إذا أردنا النجاة.

- أعتقد أن الرجال يشعرون بالتوتر عندما يمكثون في مكان واحد لوقت طويل. حتى عند احتساء الجعة فهم ينتقلون من حانة إلى أخرى. إلى أين تريد الذهاب، أنا أحب المكان هنا فهو مريح مثل المقبرة. هل سبق لك أن دخلت تابوتًا؟ عندما كنت في المدرسة الإعدادية ذهبنا إلى كنيسة في رحلة مدرسية، وقمنا بنشاط حيث نتناوب دخول التابوت ثم نتحدث عن شعورنا بعد هذه التجربة. أعتقد أنهم أرادوا أن نختبر الموت مبكرًا ليتيقنوا إيماننا بالرب. برأيك ماذا قلت؟ قلت إنه مريح للغاية. كان مريحًا فعلًا لدرجة أنني لم أرغب في الخروج. سألتني الراهبة إن كنت خائفة من الجحيم، لا أعتقد أن هناك ما يسمى جحيمًا، لكني أريد الذهاب إلى القطب الشمالي. أود أن أشعر بالملل الأبدي بالقطب الشمالي الذي لا يتحرك حتى.

- لا يوجد قطب شمالي، ألم تقولي إنه مجرد جليد يطفو فوق المحيط. وإن لم يتمكن أحد من العثور

عليه، فلن تتمكني أنتِ من الوصول إليه.

توقف المحرك، فومضت الأضواء الداخلية لثانية قبل أن تنطفئ. كما انطفئت شاشة المذياع، بينما ظل فقط الضوء الأحمر لجهاز الإنذار يومض بشكل دوري. غاص كل شيء في ظلام دامس وساد الصمت، ولم ينطق "س" أو سي يون بكلمة. وبدأ البرد يزحف إليهما مثل جيش من النمل الأبيض.

- لنخرج من هنا.

- لا أريد ذلك الآن.

- متى إذن؟

- أريد أن أبقى هنا لفترة أطول قليلًا. مهلًا، هل تريد أن نفعلها الآن؟

سمع حفيف تنورتها وهي تنزلها وجذبت كتفيه بيدها. قفز "س" فوق مكابح الطوارئ وأزاح يهوديت قليلًا حتى أصبح فوق مقعد الراكب الأمامي، وأصبحا وجهًا لوجه. أحاطها بذراعيه والتحما لفترة طويلة ومملة. ارتطم رأس يهوديت أحيانًا بسقف السيارة فتساقطت الثلوج المتراكمة على النافذة الأمامية، ومع ذلك لم يستطيعا رؤية أي شيء. وأثناء ذلك بدأ برنامج المسابقات على المذياع. قال أول متصل أن الجواب هو أنطونيو باندیراس، فأخبره المذيع ضاحكًا إن الإجابة خاطئة. لكن المتصل كان سعيدًا عندما عرف أنه ما زال سيحصل على قسيمة شراء

مكتبية هدية. وقالت المتصلة الثانية إن الإجابة ليوناردو دي كابريو، فصفق المذيع وأخبرها إنها الإجابة الصحيحة. وكانت الجائزة عبارة عن مشغل أقراص مضغوطة، فقالت الفائزة إنها ستقدمها لأختها كهدية زفاف.

سألته يهوديت بعد فترة طويلة ومملة:

- لماذا لا يمكنك الاستمتاع؟

عندها فقط أدرك "س" أنهما ما زالا على نفس الوضع.

- لست متحمسًا.

- حاول خنقي إذن، سوف يثيرك ذلك.

بدأ "س" مجددًا وهو يحكم يده حول رقبتها هذه المرة. وعندما سمع تحشرج صوتها عدة مرات، توتر وأنهى الأمر سريعًا خوفًا من اختناقها. سعلت قليلًا ثم انتقلت الى المقعد الخفلي.

- لن يمكنك القتل أبدًا. هناك نوعان من الناس لا ثالث لهما، أناس يستطيعون القتل وأناس لا يستطيعون. والنوع الثاني هو الأسوأ. "ك" أيضًا مثلك، تبدوان مختلفان لكن في الواقع أنتما وجهان لعملة واحدة. وهؤلاء الذين لا يستطيعون القتل لا يستطيعون الحب أيضًا.

غفل "س" وهو يفكر بكلماتها. كان متعبًا وغلبه النعاس، وحلم أحلامًا لا حصر لها ولم يتذكر منها

سوى الأخير. كان في مكان ما ثلجي وأبيض، تلمع به لافتة نيون تشير إلى القطب الشمالي، ومضت اللافتة معلنة عن القطب الشمالي وكأنه لاس فيجاس. وعندما اقترب رأى دبًّا قطبيًّا يضاجع يهوديت. أطلق "س" النار على الدب القطبي. طاخ! سقط الدب محدثًا ضجيجًا عاليًا. رمقته يهوديت بنظرة استياء. وعندما اقترب من جسد الدب وقلبه، تحول الدب إلى "ك" غارقًا في بركة دماء. حاولت يهوديت العارية طعن "س" في عينه بسكين طويل، وبطريقة ما استطاع أن يرى سكينها يخترق عينيه ويخرج من مؤخرة رأسه. كيف رأى طرف السكين البارز من مؤخرة رأسه بينما كانت لا تزال عيناه في مقدمة وجهه؟ تعجب من ذلك حتى في الحلم.

استيقظ من حلمه على صوت سقوط شيء ما. كانت السيارة غارقة في الظلام وأحس بصقيع قارس لا يحتمل، ربما بسبب العرق البارد. فتح النافذة الجانبية ونظر خارجًا، فسمع صوت دويٍّ آخر. يبدو أن الثلج المتراكم على أغصان الشجر قد بدأ يتساقط على السيارة.

- ألا تشعرين بالبرد؟

- ...

- لنخرج!

- ...

لم يصله رد. تحسس "س" المقعد الخلفي فلم يجد شيئًا. فتح باب السيارة الذي كان موصدًا بكتل الثلج المتراكم بقوة، وفتح صندوق السيارة وسحب مصباحًا يدويًّا. كانت هناك علامات على فتح الباب الخلفي وعلامات أخرى لطريق متعرج في الثلج. كان يشعر بالثلج وقد وصل بالفعل إلى فخذيه.

"سيه يون!"

صاح "س" بعلو صوته وبدأ في تتبع آثار الأقدام على الثلج. كان الطريق طويلًا بشكل غير متوقع ولم يستطع رؤية نهايته. عاد إلى السيارة فأغلق صندوقها وحزم أمتعته المتبقية. لم يكن يعرف إلى أي مدى ذهبت فاضطر لإغلاق باب السيارة بالمفتاح.

كانت الرياح شديدة واستمرت العاصفة الثلجية على الرغم من هدوئها قليلًا. اتبع "س" العلامات المحفورة بالطريق الثلجي حاملًا المصباح في يد وحقيبته في اليد الأخرى. وبدا أنه استغرق دقيقة كاملة للتقدم عشرة أمتار فقط، فتعجب كيف اجتازت سيه يون كل هذا الثلج وبدأ ينزعج قليلًا. لوهلة فقط مرت أمام عينه مشاهد مختلطة من حلمه الأخير، ولآخر مرة لهما معًا. وكان النزاع للسير عبر الثلج قد تركه منهكًا وغارقًا في عرقه. إلى أي مدى ذهبت؟ بدأ يشعر بالتعب وظن للحظات أنه لا يكترث إلى أين ذهبت. فلقد كانت أشبه بالعفن الذي غزا حياته. ولم يكن هذا العفن ليظهر إلا لو كانت حياته

مزرية بالفعل. فهو لا ينمو إلا في الأركان المظلمة المهجورة. وقد اقتحم حياته رغم إرادته. كره سيره بين الثلوج بحثًا عن امرأة كانت ترافق أخيه يوم أن دُفنت والدتهما. ولم يهمه حقًّا أن يعرف مكانها أم إن كانت لا تزال على قيد الحياة. ولكن على الرغم من هذه الأفكار أخذ يتقدم إلى الأمام خطوة تلو الأخرى.

ظهر في تلك الأثناء ضوء أصفر من بعيد واقترب منه تدريجيًا. كانت كاسحة ثلج، فأشار لها بالمصباح لتقف.

- هل رأيت امرأة تسير من هنا؟

- فتاة ذات شعر طويل؟

- نعم تلك الفتاة.

أشار عمال الكاسحة بأصابعهم إلى حيث أتوا.

- نعم، كانت تركب كاسحة ثلج متوجهة إلى وون تونج.

- وأنتم إلى أين تتجهون؟

- نحن نتجه نحو جبل سوراك، أي الاتجاه المعاكس لها.

لم يكن متأكدًا ما إذا كانت الفتاة التي ركبت الكاسحة هي فعلا يهوديت. فركب الكاسحة المتجهة لسوراك. وبعد حوالي 20 دقيقة، نزل أمام

مطعم ملحق بمحطة وقود ومكث به طوال الليل. وعندما استيقظ في الصباح كان الطريق ممهدًا تمامًا. وجد حقيبة يدها ملقاه في زاوية من زوايا المطعم وهو يحاول جمع أغراضه. أخرج بطاقة هويتها من الحقيبة، كانت قد ولدت في 21 يناير 1975 في مدينة جو مون جين، مقاطعة ميونج جو، منطقة جانج وون...

***

لم يسطتع "س" الذي عاد إلى سيول رؤية يهوديت مرة أخرى. لكنه كان يفكر بها أحيانًا. تلك المرأة التي اختفت في الاتجاه المعاكس لمسقط رأسها وسط الثلوج يوم عيد ميلادها. عاش حياته دون أن يقابل المرأة التي تلعق حلوى تشوبا تشوبس في الفراش ثانية. وكثيرًا ما راوده القطب الشمالي في أحلامه، وأطلق النار على الدب القطبي في ضوء الشمس الساطع، ودائمًا ما تتحول جثة الدب القطبي إلى "ك". الشيء الوحيد الذي تغير هو أن يهوديت في الحلم كانت تضحك. وهكذا مرت الأيام دون أدنى تغيير.

---

(2)- أوراق هواتو: أوراق لعب كورية مزينة برسوم لنباتات وحيوانات وأدوات للحياة اليومية، يستخدمها الكوريون للعب في الأعياد التقليدية ولعب القمار. (المترجمة)

(3)- جو-ستوب (Go-Stop) هي لعبة أوراق كورية تستخدم

أحيانا في القمار باستخدام أوراق الهواتو الكورية (المترجمة)

(4)- سوجو: مشروب كحلي محلي كوري المنشأ.

(5)- جزيرة دكدو: جزيرة حدودية متنازع عليها تقع في بحر الشرق في منتصف المسافة بين كوريا واليابان. (المترجمة)

3

ايفيان

أنام متأخرًا جدًا. أنتحر بنسبة خمسة وستين بالمائة.

حياتي رخيصة جدًّا. أملك منها فقط خمسة وثلاثون بالمائة.

يمثل نشاطي اليومي ثلاثين بالمائة.

تفتقر حياتي إلى الأسلحة والخيوط وبعض الأزرار.

خمسة بالمائة نصيب غيبوبة مصحوبة بفقر الدم.

خمسة بالمائة يدعى دادا(6).

لذا فالحياة رخيصة.

والموت أغلى قليلًا.

لكن تظل الحياة ساحرة والموت أيضًا ساحرًا بنفس القدر.

- تريستان تزارا

من قصائد "كيف أصبحت جذابًا ومحبوبًا وساحرًا"

انتهيت تقريبًا من تحرير النسخة الأخيرة من الرواية. وسأتمكن من إنهائها تمامًا خلال أسبوع على أقصى تقدير. أطفأت جهاز الحاسوب وخرجت إلى الشرفة لشم نسائم تغير الفصول. حل الربيع، وفي هذا الفصل أجد المزيد من العملاء؛ ليس لأن الناس

تخشى مواجهة ملل الشتاء القادم، بل لأن الربيع أكثر رعبًا والجميع يرهبه. فليس غريبًا أن يصاب المرء بالاكتئاب في الشتاء. ولكن الربيع يجعل الاكتئاب لا يحتمل. وبالتبعية يزداد الشعور بالعزلة. وعلى الرغم من أن الجميع سجناء الشتاء، إلا أن سجناء الربيع محاصرون بلا مفر.

أتذكر ذات مرة رأيت كوخًا ريفيًّا تقليديًّا مسقوفًا بألواح خشب في قلب الجبال. فكان أكثر ما أثار إعجابي بهذا الكوخ أنه يجمع كل شيء تحت سقف واحد. حظيرة المواشي والمطبخ وغرفة المعيشة ونظام التدفئة وغرفة المؤن والحبوب، حتى الدخان المنبعث من أفرانهم لا يخرج بسهولة من البيت، بل يتدفق شيئًا فشيئًا عبر المدخنة لتدفئة الكوخ من الداخل مرة أخرى. يعلق قاطني هذه الأكواخ بداخلها بعد موسم ثلوج أكتوبر. لكن ما أن تذوب الثلوج بالربيع، يندفعون إلى الخارج ويشعلون النيران على سفح الجبل. وتتلألأ ألسنة اللهب بين الوديان مزمزمة كما لو كان هناك احتفالًا ما. ولكن من يستطيع إقامة مثل هذه الاحتفالات الآن. فمن سيشعل النيران لمجرد أن الشتاء القاتم قد مضى. لذلك لم يعد لدى الناس خيار آخر سوى حرق أنفسهم.

***

قابلت يهوديت في الربيع. كان ذلك في إبريل

عندما كانت الشمس دافئة والرياح باردة. في ذلك اليوم كنت أشاهد فيلمًا في مسرح ما في محيط الجامعة. وكان هناك ثلاثة شخصيات رئيسية بالفيلم، رجلان وامرأة. رجل منهم كان أحد أقارب المرأة وهو كذلك صديق الرجل الآخر. كانت المرأة تعمل بمطعم شطائر، بينما الرجلان عاطلان عن العمل. استأجر الثلاثة سيارة بمبلغ ربحوه من المقامرة وذهبوا في رحلة. كان هذا هو فيلم "أغرب من الجنة"(7) للمخرج جيم جارموش. لم تلتقط كاميرا الفيلم وجوه الشخصيات عن قرب ولو لمرة. ولأن وجوه الممثلين غير واضحة، مل المشاهدون وربما شعر الممثلون بذات الشيء. كانت حياة الأبطال مملة وكان ملاذهم الوحيد إما المقامرة أو السفر. عندما يربحون في المقامرة فإنهم يقامرون بالربح ثانية، وعندما ذهبوا في رحلة لم يجدوا أي اختلاف. أخبرتهم المرشدة في كليفلاند أن هذه هي البحيرة الشهيرة لكنهم لم يستطيعوا تمييزها حيث كانت متجمدة وسط عاصفة ثلجية. تذمر أحد الرجلين أنهم لم يروا أي جديد بعد أن قطعوا كل هذه المسافة. لم يحتوِ الفيلم حتى على مشاهد رومانسية أو جنسية رائجة. كنت متأكدًا أن الجمهور لن يلاحظ أن تبدل المشهد الأخير من الفيلم بالمشهد الأول.

لم يكن هناك جمهورٌ كبير بالسينما في ذلك اليوم كالمتوقع. ربما كان هناك فقط حوالي ثلاثة أشخاص. وكانت هناك فتاة تجلس أمامي بثلاث

صفوف. يهوديت. ولم تغادر القاعة حتى النهاية رغم أنها غفت طوال الفيلم. وحتى بعد انتهاء الفيلم ظلت بالقاعة، لذلك شاهدت أنا أيضًا الفيلم مرتين. عندما قالت الممثلة للمرة الثانية "هذه هي البحيرة الشهيرة"، نهضت يهوديت من مقعدها وتعثرت قليلًا ودوت قعقعة مفاجئة في المسرح؛ لا بد أنها داست على علبة ما فارغة. تابعتها. وكان ذلك بعد العاشرة بقليل. سارت ببطء نحو حديقة مارونيير. واصطدم كتفها بالمارة مرتين تقريبًا. قصدت كشك الهاتف، ورفعت السماعة ثم وضعتها مرة أخرى.

جالت لفترة طويلة قبل أن تجلس أخيرًا في ساحة مفتوحة للعروض بالحديقة، حيث كان يعزف شابان على آلتي جيتار ويغنيان على خشبة المسرح. قلت وأنا أجلس بجانبها:

- قطعتي كل هذه المسافة وجئتي من بعيد ولكن لا جديد هنا أيضًا، أليس كذلك؟

أجابت وعينها مثبتة على الشابين:

- أجل.

ثم تابعت وهي تشعل لفافة تبغ في هدوء:

- أخبرك بشيء...

- كلي آذان صاغية.

- هل أردت يومًا الذهاب إلى القطب الشمالي؟

نفثت دخان لفافتها الأبيض.

- هل تريدين زيارته؟

- لقد كنت هناك بالفعل منذ بضعة أيام.

بدأت يهوديت نوبة ضحك وأكملت:

- لقد كان رائعًا حقًا. مغطى تمامًا بالثلج الأبيض. وعندما تحدق بهذا الثلج الأبيض لفترة طويلة يظلم كل شيء. هل تعرف كيف تشرق الشمس هناك؟ تشرق الشمس صيفًا من قلب السماء، وتغرب في قلب السماء. بينما في الشتاء تطفو من تحت الأقدام وتغوص في باطن الأرض، أليس هذا رائعًا؟!

قالتها ونظرت إلي للمرة الأولى. أومأت برأسي إيجابًا وشرعت بالرد:

- سمعت أن لا أحد يموت في القطب الشمالي. أعرف فتاة كانت هناك، عندما كانت شابة صعدت على متن سفينة سياحية عبر المحيط الشمالي المتجمد مع زوجها. وللأسف جنحت السفينة وسقط زوجها في المحيط وفقد. عادت الفتاة إلى منزلها وحيدة، لكن في الستينيات من عمرها قامت بجولة أخرى بالمحيط الشمالي، ربما لتتذكر زوجها الراحل. وكانت على ظهر السفينة تنظر إلى البحر عندما رأت لوحًا ثلجيًّا قادمًا نحوها من مسافة بعيدة وكان زوجها مستلقيًا عليه. فقفزت في المياه عندما رأته يقترب.

- لماذا؟

- كان زوجها متجمدًا على هيئته في العشرينات من عمره بينما أصبحت هي جدة.

- منطقي. أعتقد أنني أفهم شعورها

- أحيانًا نستطيع فهم الخيال أكثر من الواقع. عندما تتحدث عن أحداث حقيقية غالبًا ما تصبح مملًا. لذلك تعلمت في سن مبكرة جدًا أنه من الأفضل رسم اللوحات الفنية وتأليف القصص اللازمة لاستمرار الحوار. كما أني أستمتع بتأليف هذه القصص، فالعالم مليء بالخيال على أي حال.

أومأت برأسها وتعاطفت مع قصتي. وشاهدنا المغني يضع الجيتار في حافظته ويأخذ الميكروفون بعد أغنيته الأخيرة. أعطيتها بطاقة عملي.

- اتصلي بي إذا وددتي إخبار شخص ما إنك لا تريدين التحدث.

حدقت في البطاقة وقالت:

- وماذا لو لم أود ذلك؟

- كيف تشعرين الآن؟

- لا أعاني كثيرًا الآن، لكنني أعتقد أنني سأعاني قريبا.

ضحكت لأول مرة، ابتسامة جافة وباردة مثل ثلج تساقط منذ أيام وتحجر.

- اتبعيني.

أمسكت بيد يهوديت لتنهض من على المقعد. سارت بجانبي دون أن تنبس ببنت شفة. ركبنا سيارتي، فدفنت نفسها بالمقعد الأمامي. وخرج صوت شيت بيكر الأجش عندما أدرت المحرك.

- هل تعرفينه؟

هزت رأسها ببطء شديد وبصعوبة.

- لا أعرف من هو، لكن أشعر وكأنه يسحبني إلى باطن الأرض لأتلاشى في الأعماق.

- إنه مغني جاز يدعى شيت بيكر. عاش حياة صعبة. نجح في صنع اسم لنفسه لبعض الوقت، لكنه لم يخلد في تاريخ موسيقى الجاز. فلم يكن مغنيًا بارعًا ولا عازفًا استثنائيًّا، لكنه كان يغني فقط لكسب المال وإشباع إدمانه للمخدرات في الستينيات.

- إذن لماذا تحب أغانيه؟

- ذات يوم صادفت غلاف البومه في متجر الموسيقى. كانت صورته وهو مسن أشعث. لحيته سوداء وشعره أملس ومصفف للخلف. ومثلما اظهرت تلك الصورة الفوتوجرافية بالأبيض والأسود تجاعيده، كشفت أيضا همومه. يمكنك فهم ماضي أي شخص من تجاعيده. ومع ذلك كانت عيناه متلألئة إثر الضوء المنعكس من وميض الكاميرا، ولم تكن لتبدو أكثر صفاءً! في اللحظة التي رأيت

فيها الصورة علمت أن هذا الشخص قد عاش حياته لغايتها.

- وكيف عرفت ذلك؟

- كانت عيناه تلمعان بالأمل الأخير. فهناك أشياء لا يمكن إخفاؤها تحت تجاعيد التعب والكلل. ولم يكن هذا الأمل للحياة، بل أمل للراحة الأبدية.

أثناء حديثنا لُعبت الأغنية الثانية بالأسطوانة. كانت أغنية بيكر الشهيرة "حبيبتي المرحة بعيد الحب"(8). من عنوانها تبدو أغنية ممتعة لكن صوته كان هادئًا وحزينًا. لم تكن الأغنية مبتذلة، بل كانت تتحدث عن شخص قطع شوطًا طويلًا في طريق الهرب وتجاوز كل رغباته.

- هذا تسجيل مباشر من حفله الأخير. بعد أسبوعين من الحفل قفز من نافذة فندق وتوفي.

- لماذا قفز؟

- صرحت شرطة أمستردام إن الأمر كان حادثًا لكني أراه بشكل مختلف. كلما استمعت أكثر إلى هذا الألبوم وكلما نظرت إلى صورة الغلاف، أعتقدت أنه اختار أن يأخذ قسطًا من الراحة.

- ألم يترك رسالة انتحار؟

- لم يترك أي شيء. لكني أعتقد أن هذا الألبوم هو رسالة انتحاره. فهناك من يتواصل من خلال

الكتابة بينما هناك من لا يسعهم سوى التواصل من خلال الموسيقى. وكان من المهم بالنسبة له أن يسجله مباشرةً في الحفل وليس في الأستوديو. فالفرق شاسع في الإحساس. ألا تعتقدين أن مشاعره كانت حقيقية وجياشة عندما غنى أغنيته الأخيرة وسط جمهوره بدلًا من تسجيلها بالأستوديو لمستمع مجهول.

- نعم، أعتقد أنك على حق.

قدت السيارة باتجاه منزلها. كانت تعيش بشقة مستأجرة بضواحي سيول. احتسيت القهوة في غرفة المعيشة وسط أثاث معدني رخيص وجهاز تلفزيون مقاس 14 بوصة. وجلست بجانبي تلعق حلوى التشوبا تشوبس بينما أنهي قدحي. مع بزوغ الفجر، قررت يهوديت أن تكون عميلتي. وبعد ثلاثة أيام نفذت عقدي معها وصعدت على متن طائرة متجهة إلى فيينا بقصتها التي لم تغب عن بالي لحظة.

***

فيينا مدينة ساحرة حيث تتدفق الأفكار منها إلى ربوع الأرض. انتشرت أفكار مثل الإصلاح الديني والتعبيرية والنازية من هذه المدينة إلى العالم. ويطلقون عليها بوابة أوروبا الشرقية والغربية، ذلك لأن معظم السياح يحصلون على تأشيرات من فيينا ثم يعبرون الى التشيك والمجر. ويقال إن هتلر كان

يطمح لاحتراف الفن هناك، فصرح بثقة قائلًا: "لو لم يخترني القدر رئيسًا لكنت الآن مايكل أنجلو". بينما درس موتسارت الموسيقى بها. فأصبح هتلر عبقريًّا بالفاشية وعقلية الغوغاء، وموتسارت عبقريًّا بالفن والتلحين. والسمة المشتركة بينهما هو أن كلاهما ولد بموهبة فطرية لجذب الجمهور. كان من السهل حينها التأثير على العامة مثلما فعلت مذكرات آن فرانك اليائسة بسبب الهولوكوست. ولكن الأمر حاليًّا ليس بهذه السهولة. فقد أصبح الموت الآن محتوىً إباحيًّا يبث مباشرة على التلفاز. والمذابح التي كانت تُكتشف من الإشاعات، سرعان ما تُذاع الآن بالتفصيل عبر الأقمار الصناعية.

تتعايش أشياء كثيرة ومختلفة جنبًا إلى جنب في فيينا. فاختلطت آثار الإمبراطورية الرومانية المقدسة وبقايا النازية ومجد عائلة هابسبورج الملكية معًا. وأصبحت عاصمة هذا البلد الصغير المحايد محطة انطلاق للعديد من الناس ليغادرون منها إلى مكان آخر. أشعر هناك أنه بإمكاني قضاء الليل مع أي شخص. فاتخيل مقابلة شخص ما ومشاهدة مسرحية موسيقية مثل "شبح الأوبرا"، ثم نحتسي الجعة ونذهب إلى أي نزل قريب ونقضى الليلة على سرير متهالك. وفي الصباح نصعد على متن قطارين يشقان طريقهما في اتجاهين متعاكسين.

كان هناك سبب آخر لذهابي إلى فيينا في ذلك التوقيت، وهو يهوديت. بمجرد أن وقعت العقد

معها شعرت برغبة ملحة في الذهاب إلى موطن غوستاف كليمت صاحب لوحة يهوديت التاريخية. احترف غوستاف كليمت الفن أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين وكان من محبي الجمال، وأصبح فنانًا أيقونيًّا في أواخر القرن العشرين. وبلورت لوحة يهوديت ذروة الجمال المنحط، معززة بخلفية من الأنماط الزخرفية المبهرة والبراقة.

***

- كان يسميني يهوديت.

- لماذا؟

- قال إنني أشبه لوحة يهوديت التي رسمها فنان ما.

في الليلة الأخيرة لي مع يهوديت عرفت من هو هذا الفنان.

- ربما قصد جوستاف كليمت.

رسم العديد من الرسامين يهوديت بصورة مستوحاة من الكتاب المقدس. لكن سيه يون كانت تشبه يهوديت بلوحة كليمت وليس أي فنان آخر.

قالت يهوديت ضاحكة:

- لا يهمني من هو. سررت بمعرفة اسمه لكني متأكدة أنني سأنساه بعد قليل.

ذهبت إلى المتحف النمساوي للفنون بقصر

بلفيدير لرؤية لوحة يهوديت لكليمت. ظهر القصر من بعيد حيث كان الترام يجول في وسط المدينة ويتجه جنوبًا. سرت ببطء نحو القصر الذي كان مزدحمًا بأطفال في رحلة مدرسية ما. وسائحين يحملون كاميرات الفيديو وينظرون حولهم بنصف عين مغلقة. كان السائح ذو الكاميرا اليابانية قد اندثر، وبدلًا منه أصبح هناك سائح كاميرا الفيديو. ولكن تلك الكاميرات تبتلع القصر مثل الثقب الأسود وتحجب رؤية بحيرته. فيتحول بلفيدير في ذاكرتهم إلى صورة مربعة زرقاء مشوشة. ويضحون بالذكرى الحية سعيًا وراء خلودها. أمر مثير للشفقة لكن هذا هو حال الإنسان.

صعدت إلى الطابق الثاني من المعرض، لحسن الحظ كان الكثير من الزوار حول لوحة القبلة لكليمت، بينما استقطبت لوحة يهوديت عددًا أقل بكثير. كان شعرها الأسود منتفش بشكل درامي، وخلفه أنماط وزخارف ذهبية مما زاد اللوحة بهاءً على عكس وجنتيها الحمراء. كانت عيونها تنظر إلى العالم مرتجفة بلذة ما. وبدت مستريحة مع انفراجة بسيطة بشفتيها. ولم يكن صدرها المكشوف ملونا بلون الجلد الطبيعي، بل كان أزرق. وذلك اللون الأزرق الذي شع بلطف على اللوحة ما هو إلا طاقة الموت. ليجعل يهوديت تبدو كجثة. وكان رائعًا أن تعكس جثة كل هذه المشاعر. ربما كان هذا سر جاذبيتها. احتضنت ذراعها اليسرى في اللوحة رقبة

هولوفرنيس التي قطعتها. وكان المغدور داكن الشعر ميتًا بعينين مغمضتين.

قتلت يهوديت هولوفرنيس أحد قادة العدو بعد إغوائه. ولكن ما لم يكن واضحًا في اللوحة ما إذا كانت لا تزال تشعر بالنشوة بعد قتله أو إذا كانت قد وصلت إلى النشوة في ذات اللحظة التي قطعت فيها رأسه.

بينما كنت مشغولًا بالنظر إلى اللوحة، مرت أمامي امرأة آسيوية قصيرة بشعر قصير أملس أخفت الجزء الأسفل من اللوحة بمرورها، فانحنيت قليلًا إلى اليمين. كانت وجنتها العريضة وعينيها تدل أنها من جنوب شرق آسيا. وفي تلك اللحظة توافدت مجموعة من السائحين بصحبة مرشد سياحي أمام لوحة يهوديت فغادرت المعرض. شعرت بالظمأ الشديد، وكانت صورة عميلتي يهوديت ترقص مع يهوديت من لوحة كليمت أمام عيني مما جعلني أشعر بدوار طفيف. فنزلت إلى الطابق السفلي وجلست في مقهى وطلبت زجاجة مياه معدنية وسلطة اللحم المقدد. أحضر النادل زجاجة سان إيفيان للمياه المعدنية. كان مذاق هذه المياه الفرنسية التي يتم جمعها من سفوح جبال الألب أقوى قليلًا من المياه الكورية. لكنني كنت محظوظًا للحصول على إيفيان، فغالبًا ما اضطر إلى قبول المياه الفوارة في أوروبا.

ذهبت إلى براغ ذات مرة مع امرأة هولندية قابلتها

في رحلة. وقبل أن يذهب كلٌّ منا إلى غرفته تواعدنا على تناول فنجان شاي في ردهة الفندق صباح اليوم التالي. دخلنا الردهة حوالي الساعة الحادية عشرة صباحًا. كان مكانًا رائعًا وكانت هناك فرقة رباعية وترية تعزف أغانٍ قديمة. لكني تفاجأت عندما طلبت المرأة الهولندية مياهًا معدنية في مكان رفيع المستوى مثل هذا.

عندما انتهيت من تناول السلطة في مقهى المتحف، دخلت المرأة الآسيوية التي قابلتها منذ قليل أمام لوحة يهوديت. طلبت كولا ومخبوزات فرنسية وأخذت تأكلهم ببطء. نظرت إليها مليًّا، كان بها شيئًا يشبه يهوديت لا محالة، لكنني لم أتمكن معرفته.

أنهت صحنها ونظرت في الكتيب الإرشادي الذي اشترته من المتحف. تعلقت عيناها بأعمال كليمت. وبادرت حينها بالحديث، فإن فيينا عامة والمتاحف الفنية خاصة مكان جيد لبدء الحديث مع الغرباء.

- هل تحبين كليمت؟

حدقت المرأة في عيني وأجابت على سؤالي بالإنجليزية:

- لا.

- إذا لماذا تنظرين إلى لوحاته فقط؟

- هذا ليس من شأنك!

سكبت الكولا المعلبة في كوب وشربتها. أمكنني رؤية وجهها من الأمام هذه المرة. كان وجهًا خاليًا من الزينة، مليئًا بالعيوب وتشوبه سمرة من الشمس، ومرهقًا إرهاقًا واضحًا. كنت أرغب في قضاء الليلة معها واستقبال الفجر وذراعي تحت رأس هذه المرأة التي سئمت السفر. عادةً ما أركز على الاستمتاع أثناء سفري، فحياتي في كوريا مكرسة للتمييز بين العملاء المحتملين والأشخاص العاديين. لذا لا داعي لفعل ذلك هنا أيضًا.

- من أين أنت؟

كانت لكنتها صينية مميزة. ربما كانت من سنغافورة أو هونج كونج أو ماكاو. أجابت باقتضاب:

- هونج كونج، وأنت؟

- أنا؟ أنا من الجحيم.

قطبت جبينها ثم ضحكت وقالت:

- يا له من مكان ممتع للعيش!

- ومجاني، لكنه ممل ولا جديد فيه. يبدو أنك سائحة. أين كنت قبل أن تأتِ إلى فيينا؟

- برلين، أمطرت هناك لمدة ثلاثة أيام متواصلة. كل ما رأيته كان حانة الفندق.

قامت بطي الكتيب وأخرجت علبة تبغ مارلبورو وأشعلت لفافة ثم سألتني:

- ماذا تعمل؟

ماذا أعمل؟ أحيانًا أقول أنني معالج نفسي أو كاتب. ما زلت أتردد عندما يسألني أحدهم مثل هذا السؤال:

- روائي.

- هل لديك أي روايات منشورة باللغة الإنجليزية أو الصينية؟

- لا.

فقدت الاهتمام لوهلة. لقد واجهت هذا كثيرًا في رحلاتي، فالروائيون الذين لم ينشر لهم أعمال بالإنجليزية يعاملون نفس معاملة العاطلين عن العمل.

- وأنتِ؟

- عملت بأماكن كثيرة، عملت موظفة بأحد المتاجر. هناك العديد من المتاجر في هونج كونج كما تعلم.

- أيمكنني أن اسأل كم عمرك؟

- واحد وعشرون.

تفاجأت قليلًا، تبدو تعيسة بالنسبة لفتاة تبلغ من العمر واحدًا وعشرين عامًا فقط.

- هل هذه هي زيارتك الأولى لفيينا؟

- نعم، فالخروج من هونج كونج ليس بهذه

السهولة. هذه هي رحلتي الأولى خارجًا.

يعيش البعض في مدينة واحدة طوال حياتهم. لا يمكنني تخيل أن هناك أشخاصًا لم يغادروا سيول لعقدين كاملين. ألقيت نظرة على تلك الفتاة التي قضت حياتها في هونج كونج، تلك المدينة التي تعتبر مزيجًا من إنجلترا والصين، وتقول إنها عاشت في هذا الصخب والضجيج لمدة عشرين عامًا.

- هل وجدت سكنًا؟

أخذت الخريطة لتتحقق من موقعها وقالت:

- أقيم في نزل بشارع ماريا هيلفر.

يربط شارع ماريا هيلفر قلب فيينا بغربها، وتتجمع به الفنادق الأرخص ثمنًا. ولم يكن نزلها بعيدًا عن فندقي.

- هل ترغبين في رؤية معالم المدينة معي غدًا؟ هذه زيارتي الثالثة لفيينا.

- حسنًا فليكن.

- ألقاكِ إذن أمام دار الأوبرا في تمام العاشرة.

حددت موقع دار الأوبرا على الخريطة. نظرت إلى الخريطة بعيون صغيرة ثم نهضت، وعدت أنا إلى فندقي. حزمت أمتعتي ونزلت إلى الحانة لتناول الجعة. سكبت لي نادلة عجوز بدينة الجعة برغوة كثيفة في حركة ماهرة. أخرجت بطاقة بريدية كنت

قد اشتريتها من المتحف وتحمل لوحة يهوديت، وأخذت أحدق بها.

***

- هل تفضلين طريقة معينة؟

سألت يهوديت يوم لقائنا الأخير هذا السؤال، فنظرت إلي مترددة كما لو أنها لا تريد التفكير في الأمر ثم تركت القرار لي. عادةً ما يحدث هذا، لذا لم أشعر بالارتباك.

- برأيك ما هي الطريقة التي تناسبني؟

- حسنًا، فلنبدأ بحصر الطرق التي لا تريدينها.

أخرجت حاسوبي المحمول وبدأت في فتح ملفات عملائي السابقين:

- لا تفضلين الشنق، أليس كذلك؟

فتحت ملف الصورة الأول ليظهر شخص متدلي من شجرة فوق تل.

قالت وهي تلمس مؤخرة رقبتها بيدها اليسرى.

- بلى، لا أعتقد أنني سأحب هذا الشعور على رقبتي.

- الأمر في الواقع بسيط للغاية. يعتقد الناس أن الشخص الذي يشنق نفسه يعاني لمدة ثلاث إلى أربع دقائق حتى يموت لكن هذا ليس صحيحًا. فما

إن تضع حبل المشنقة حول رقبتك وتركلين الكرسي فإن المشنقة ستكسر رقبتك فورًا، وفي تلك اللحظة يفقد معظم الناس وعيهم. لهذا السبب يموت البعض وما زالت أقدامهم تلامس الأرض. لكن إذا كان الأمر يستغرق ثلاث أو أربع دقائق من المعاناة فلن يتحمله أحد.

- لا زلت لا أفضل هذا الخيار.

فتحت الملف التالي، كانت صورة لرجل مستلقٍ في حوض استحمام مملوء بماء وردي.

- كانت هذه الطريقة شائعة في الغرب، فضلها الأرستقراطيون الرومان. فالغطس بالماء الساخن يسرع الدورة الدموية، لذلك يمكنك تحقيق هدفك بشكل أسرع. قطع الشرايين صعب بالطبع لكن بمجرد الانتهاء من تلك الخطوة يصبح الأمر مريحًا للغاية. ويمكنك الموت وأنتِ تشاهدين دمك ينساب في الماء. سيؤدي النزيف إلى نوع من الصدمة وفقدان كبير للطاقة وتصابين بالإغماء تدريجيًّا لكني لا أوصي بذلك أيضًا.

- لماذا؟

- عدد قليل من زبائني يصرون على قطع شرايينهم لكنهم بعد ذلك يطلبون مني القيام ذلك بدلًا عنهم. وأنا لا أحب أن تتلطخ يدي بالدماء، كما أن المشاركة في إنجاز الأمر يفقد عملي أهميته.

- إذن لم تفعل ذلك بنفسك أبدًا؟

- لا أفعل أبدًا ما لا يجب علي فعله.

- وهل انتهى بهم الأمر إلى اختيار طريقة أخرى؟

- لا، تمكنوا في النهاية من القيام بذلك بمفردهم. لكن اضطررنا للتحدث أكثر قبل أن يفعلوا.

- فهمت.

ما زالت هيئة يهوديت حينها محفورة في ذاكرتي. أظهرت لي جانبًا مختلفًا تمامًا عن المرة الأولى التي التقينا فيها. كانت مرحة ووجهها ينبض بالحياة لأول مرة منذ أن قابلتني.

- مثير حقًّا. لطالما كانت حياتي فوضى لا يمكن السيطرة عليها. واعتدت أن أكون دائمًا في مكان لا أريده. لكن الأمر مختلف الآن، فأنا مطمئنة ولا أشعر بالفزع.

حماس يهوديت جعلني أفكر ثانية في معنى وأهمية ما أفعله. توقفت عن لعق التشوبا تشوبس ولم ترفع عينيها عن شاشة الحاسوب كطالب يحاول تعلم كيفية استخدامه لأول مرة. لقد كان من دواعي سروري مقابلة عميلة مثل يهوديت. كان التفكير بها يثلج قلبي حقًّا. طلبت قدح جعة آخر من النادلة وتجرعته ثم صعدت غرفتي واغتسلت ونمت.

في صباح اليوم التالي وصلت الى دار الأوبرا في فيينا فوجدت فتاة هونج كونج قد سبقتني إلى

هناك. وعلى عكس مظهرها بالأمس، كانت ترتدي نظارة شمسية داكنة وتحمل كولا معلبة بيدها.

- إلى أين تأخذني اليوم؟

- متحف تاريخ الفن بفيينا.

- يبدو ذلك ممتعًا.

شربت كل ما تبقى من الكولا وتبعتني، ثم اتجهنا غربًا من دار الأوبرا لنجد متحف تاريخ الفن ومتحف التاريخ الطبيعي. كان إبريل في فيينا لا يزال باردًا، وهبَّت رياح قوية وقارسة، فكان علينا أن ندير أجسادنا عكس اتجاه الريح.

يضم متحف تاريخ الفن مجموعة من مقتنيات عائلة هابسبورج الملكية. ويقع في مواجهته متحف التاريخ الطبيعي. ويقال أنه كان يومًا قصرًا ملكيًّا. وقفنا في ساحة ماريا تيريزا وجعلتني رؤية النمط المعماري الرائع لعصر النهضة أشعر أن المعروضات بالداخل ستكون مملة نسبيًّا، لكننا قررنا دخول المتحف الدافئ بسبب الرياح الباردة. تركنا معاطفنا وأمتعتنا عند البوابة وسرنا في الممر الذي سار فيه يوما النبلاء والأرستقراطيين.

وكما توقعت، كانت المعروضات مملة. مومياوات ملوك مصر وتماثيل حجرية لابن آوى تحرسها. ومحاربين يونانيين مبتوري الأطراف ومخصيين. توقفنا أمام تمثال كوروس الذي نُقب عنه في القرن

الخامس قبل الميلاد.

- أليس هذا رائعًا؟

- هزت رأسها نفيًا:

- لا، تشعرني التماثيل التي تعبر عن القوة الجسدية بالاشمئزاز.

صعدنا إلى الطابق الثاني، كانت معظم المعروضات تعود إلى فترة ما بعد عصر النهضة. تجولنا حول المعروضات كما لو كنا نشاهد مناظر طبيعية. وعلى هامش أحد المعارض أقيم معرض خاص تحت عنوان "الجنس في روائع الفن"، دخلنا الصالة دون تفكير كبير.

ضم بعض اللوحات التي رسمها تيتيان وروبنز وكارافاجيو. وكانت الشخصيات المعروضة هي مارس وإيروس وفينوس وزيوس إله الحرب. شعرت بالأسف على الرسامين الذين اضطروا إلى التعبير عن أنفسهم من خلال منظور أسطوري فقط، ولم يتمكنوا من تصوير الحب بين أناس حقيقيين. وباءت محاولاتي للاستثارة بالفشل، حيث كان العنصر الجنسي باللوحات دقيقًا ومتواريًا لدرجة لن تؤثر في. سحبت ذراعها قائلًا:

- فلنخرج من هنا.

أومأت برأسها.

- أشعر بالجوع.

ذهبنا إلى مقهى في متحف الفن واشترينا بعض الشطائر. شربت المياه المعدنية التي كنت أحملها معي طوال يوم وشربت هي الكولا. بدت متعبة أكثر مما كانت عليه عندما التقينا لأول مرة.

- سمعت أن الليل في هونج كونج مذهلًا.

- أفضل من الجحيم.

ضحكنا ثم قالت:

- كان هذا سؤالًا غبيًّا. لا يعتقد أحد أنه يعيش في مكان رائع.

كانت محقة. أخذت رشفة أخرى من مياه إيفيان المعدنية وأشعلت لفافة تبغ. سألتني:

- إلى أين أنت ذاهب بعد فيينا؟

- إلى أين أنتِ ذاهبة؟

حدقت في وسألت:

- أين تعتقد أني ذاهبة؟

- فلورنسا.

إذا كانت جاءت من برلين إلى فيينا فمن المؤكد أنها تتجه جنوبًا. وفلورنسا هي المدينة الجنوبية الوحيدة التي يمكنها المغادرة إليها ليلًا من هنا. فلو كانت ستقصد أوروبا الشرقية لكانت قد غادرت مباشرة من برلين.

- كيف عرفت؟

- مجرد حدس، فسكان الجحيم يمكنهم قراءة الأفكار.

- أعتقد أن فلورنسا ستكون دافئة. برلين وفيينا كانتا باردتان للغاية.

بالنسبة لشخص يعيش في مكان دافئ مثل هونج كونج، فسيشعرها هذا الطقس قارس البرودة بالتجمد...لم تعد الفتاة إلى نزلها هذا المساء.

في اليوم التالي، نظرنا من نافذة المقصورة المظلمة للقطار المتجه إلى فلورنسا. لم يوجد سوانا في المقصورة التي تتسع لستة أشخاص. وكان الجو مظلمًا بالخارج أيضًا. مر القطار عبر سهول لومباردي. وغفت الفتاة ذات الوجه المليء بالعيوب، بينما ظللت أتقلب في مقعدي أعاني الأرق وأحدق بوجهها النائم.

هكذا غفت الليلة الماضية في فيينا بعدما مارسنا الحب. شربت كولا من زجاجة بلاستيكية بجانب سريرها بشراهة كأن عطشها لم يروَ. شعرت بالفضول. شربت وشربت حتى وصلت لآخر قطرة في الزجاجة... وبمجرد أن رأت قاع الزجاجة نامت كما لو كانت قد انتهت من فروضها.

من المريح ممارسة الحب مع شخص لا يستطيع التواصل جيدًا. فحينها يمكن التركيز فقط على

المشاعر دون أي تشتت. وعندما تمتمت هي ببعض الكلمات الكانتونية، كنت مرتاحًا لعدم وجود حاجة أو إلزام لفهمها. وربما كان هذا هو شعورها أيضًا.

عندما وصل القطار إلى الحدود الإيطالية، صعد مسؤولو الجمارك والشرطة لفحص جوازات السفر. كان جواز سفرها قد صدر تحت ولاية إليزابيث الثانية. بحثت عن الكولا فور استيقاظها، لكن قنينتها كانت قد فرغت. أصيبت بالذعر، فعرضت عليها زجاجة مياه معدنية، فتجهمت ورفضت.

- لا، أنا لا أشرب الماء.

عندما فكرت بالأمر وجدته صحيحًا. لم أرَ تلك الفتاة تشرب الماء مطلقًا منذ أن قابلتها. دائمًا ما تشرب الكولا أو مياهًا غازية أخرى.

- هذا غريب. لماذا؟ ألا تشربون الماء في هونج كونج؟

حدقت إلي وكان الامتعاض يشع من عينها لدرجة أنني تراجعت بجسدي إلى الخلف تلقائيًّا.

- ماذا دهاكِ؟

- لا تقدم لي الماء. أنا لا أريد أن أشربه أبدًا.

انزعجت من نبرة صوتها الحادة وهي تقول: "أبدًا". توقف القطار لفترة وجيزة في بادوفا بعد الحدود الإيطالية ثم استمر في طريقه نحو فلورنسا. غفوت قليلًا وعندما استيقظت كان ما زال الليل مخيمًا

والنجوم تلمع بالخارج. فتحت النافذة قليلًا. كان ضجيج القطار صاخبًا للغاية ومع ذلك لم تستيقظ وظلت نائمة. ولم يكن نسيم الليل باردًا، ربما لأننا كنا نقترب من فلورنسا.

دوى صرير المكابح مصحوبًا بصوت تساقط حقائب الركاب، فاستيقظت من نومها ونهضت أنا من مقعدي ونظرت من نافذة المقصورة، لكنني لم أرَ شيئًا. قال المحصل شيئًا ما بنبرة سريعة باللغة الإيطالية او الألمانية لكني لم أستطع فهمه.

- هل يمكنكِ فهم الألمانية أو الإيطالية؟

- لا.

جلسنا وانتظرنا أية أخبار. يبدو أن القطار قد اصطدم بشيء ما، أو أن شخصًا ما استخدم فرامل الطوارئ. ظللنا في المقصورة نحدق في وجوه بعضنا البعض. وهكذا مرت ساعة بعد الأخرى.

سألتني:

- هل وقعت في الحب من قبل؟

- لا.

- أنا فعلت مرة. عندما تعمل أي فتاة في متجر يتودد لها الكثير من الرجال. هذه طبيعة العمل الخدمي ولا يمكننا تغييرها بسهولة. نبتسم فقط دون إبداء أي امتعاض. كنت مسؤولة عن قسم الشاي وكان هناك رجل يشتري الشاي ويتحدث معي

يوميًّا. لم أعرف إن كان يشتري الشاي ليحدثني أو يحدثني لمجرد شراء الشاي ثم في أحد الأيام لم يأت، وتوقف عن شراء الشاي منذ ذلك اليوم. كان هو حبي الأول، لذلك أقلعت عن شرب الشاي.

- وهل اصبحت مسؤولة قسم المياه بعد ذلك؟

- حدقت في وجهي لوهلة ثم قالت:

- يا لك من وغد أحمق!

صدمت من نعتها لي بهذه الكلمات. عرفت كيف تسب بالإنجليزية جيدًّا. انتزعت زجاجة مياه ايفيان من يدي وتجرعتها في ندية. شاهدتها بقلق، وبعد أن أنهت الزجاجة حدقت في وجهي مرة أخرى وخرجت إلى ردهة العربة. تابعتها بعيني وهي تتأرجح وتتعثر في طريقها إلى دورة المياه ثم إنهارت في منتصف الردهة. اندفع إليها الركاب الذين خرجوا إلى الردهة مللًا من توقف القطار، وركضت أنا أيضا باتجاهها وأمسكتها. حاولت القيام لكنها سرعان ما انحنت وبدأت تتقيأ. لم أكن أعرف ماذا أفعل، فركضت إلى مقصورتنا بحثًا عن بعض المناديل وأكياس بلاستيكية.

كانت قد مرت ساعتان منذ توقف القطار، ولم تكن هناك حتى فرصة للإصابة بغثيان الحركة. ما كان هذا؟ انتزعت الفتاة المناديل والأكياس البلاستيكية من يدي ونظفت القيء ثم اختفت بدورة المياه.

- قلت لك ألا تعطيني الماء.

- آسف، سأكون حذرًا في المستقبل.

- بدأ القطار يتحرك ببطء بينما كانت لا تزال في الحمام. أذيع إعلان باللغتين الإيطالية والألمانية مرة أخرى. ولم نفهمه هذه المرة أيضًا. وجدت نفسي أفكر في يهوديت ثانية. كانت يهوديت قد اختارت أخيرًا الغاز بعد المقارنة بين عدة طرق، وقد أعربت لها عن تحفظي:

- أعتقد أن هذا خطير بعض الشيء.

- خطير؟ هاها!

ضحكت يهوديت وكان من الطبيعي أن تفعل. فقد كنت أحذر شخصًا مقبلًا على الانتحار من خطر ما بالحياة.

- الغاز النفطي السائل كثيف ويهبط الى الأسفل. وإذا كان هناك صدع في هذه الشقة يمكن أن يتسرب إلى الطابق السفلي، أو حتى ينفجر إذا كسر أحدهم باب الشقة.

- انفجار، سيكون ذلك رائعًا، لكنني لا أريد المبالغة. أليست وظيفتك أن تمنع ذلك؟

لم يكن من الصعب تفادي الأمر. كان يمكنني الاتصال ب119(9) بعد فترة زمنية معينة. شعرت يهوديت بالراحة عندما أوضحت لها الخطة وشرحت

لها الجدول الزمني.

- حوالي الساعة 11 مساءً عليكِ إغلاق الأبواب والنوافذ بقطعة قماش لنضمن عدم تسرب الغاز. ثم افصلي جميع المقابس الكهربائية وأسلاك الهاتف، فأي شرارة قد تسبب انفجارًا. بعد ذلك اذهبي إلى الشقة المجاورة واطلبي منهم الاعتناء بالمنزل لأنك ذاهبة في رحلة. هكذا إذا جاء زائر غير متوقع يخبره الجيران بأنكِ خارج المدينة. ثم عليكِ كتابة رسالة انتحار ويمكنك كتابتها مسبقًا. إذا كانت هناك رسالة فمن السهل على رجال الشرطة التعامل مع الموقف على أنه انتحار. ومن الأفضل كتابتها بالتفصيل، لأن الشرطة تشتبه برسائل الانتحار الغامضة. وأحد العوامل التي تميز بها الشرطة الانتحار من القتل هو وجود رسالة انتحار، ثم محتوى هذه الرسالة. فعادة ما تكون رسائل الانتحار التي يكتبها القاتل بعد جريمته مقتضبة، لذلك من الأفضل التحدث عن الأشخاص المقربين لك، مثل آسفة يا فلان على كذا وكذا... وهذا سيجعل الأمور أسهل.

- يبدو الأمر أصعب مما توقعت.

- إذا كان الأمر صعبًا حقًا فيمكنك اختيار نموذج للرسالة من عندي. ولكن أعتقد أنه من الأفضل أن تكتبيها بنفسك لأنها آخر شيء ستكتبينه على الإطلاق.

بدأت تكتب رسالتها على الفور. وبينما كانت تمزق

بعض المسودات وتلقي بيها بعيدًا، جلست أشاهد التلفاز وأحتسي الويسكي.

كانت الساعة حوالي الحادية عشر صباحًا عندما وصلنا إلى فلورنسا، مدينة الزهور. كنا قد تأخرنا حوالي ثلاث ساعات عن الموعد المحدد. وحالما نزلنا من القطار ابتعت لها الكولا فشربتها بشراهة وكأنها ممسوسة. ثم توجهنا على مهل إلى ساحة دومو، رمز فلورنسا. كانت الكاتدرائية المهيبة المزينة بالرخام الأبيض والأخضر، وتتضمن أيضًا بيتًا للمعمودية مصممًا من نفس الرخام. وزينت النقوش التي نحتها نحاتو عصر النهضة مثل جيبرتي أبواب الجوانب الأربعة للصرح فجعلته أشبه بالقناع.

- قالت الفتاة وهي تنظر إلى برج جرس الكاتدرائية:

- لا أحب الأبراج.

- لماذا؟

- تشعرني بالغثيان.

جلسنا على الدرج أمام الدومو ودخننا. أخذت نفسًا من لفافتها التي وصلت إلى نصفها وقالت:

- عندما أحب بصدق، أتقيأ.

- وهل أحببت البرج؟

- يا لك من أحمق! من يحب الأبراج، أريد أن أرى

جسر فيكيو.

أرتني صورة جسر فيكيو في الكتيب السياحي. مررنا معًا بمتحف أوفيزي إلى جسر فيكيو، حيث اصطفت على جانبيه بيوت عتيقة يرجع عمرها لأجيال. قالت لي:

- كم تمنيت رؤية هذا الجسر منذ زمن.

- وأين سمعت عنه؟

- كان لدي تقويم لشركة الخطوط الجوية البريطانية في غرفتي، وكانت صورة شهر يناير هي جسر فيكيو. أحببت رؤية تلك المنازل العتيقة. وكانت الشمس تغرب على الجسر بالصورة، أليس هذا رائعًا؟

لكن في الواقع لم يكن الجسر بهذه الروعة. بدا وكأنه حي فقير على وشك الإزالة. ومع ذلك شعرت أن هناك الكثير من الفترات العصيبة مدفونة تحت أكوام التراب هنا.

- أحببت كيف امتزجت كل العناصر هنا بالاعتدال، كما أن الجو دافئ أيضًا.

تحشرج صوتها بدموع مكبوتة. وكانت فلورنسا حقًّا أكثر دفئًا من فيينا. تجولنا بسوق السلع المستعملة والتحف الفنية، ثم دلفنا إلى فندق صغير رث. اغتسلت وغيرت ملابسها بمجرد دخولنا للغرفة وشربت جعة معلبة باردة ابتعتها مسبقًا من المتجر. سألتني وهي تتجرع الجعة:

-كيف تمارسون الحب في الجحيم؟

- لا أفعل ذلك هناك.

-كاذب. أعتقد أن هذا هو الشيء الوحيد الذي تفعله.

- لماذا تعتقدين ذلك؟

- لأنك تشعرني بالغثيان.

- إذن لماذا نمتِ معي؟

- ألا تريد أحيانًا أن تتقيأ كل ما في معدتك؟ دائما ما تمتلئ معدتي بأشياء غريبة رغمًا عني، هذا عندما أشعر بالحاجة إلى ممارسة الجنس.

- ماذا عملتِ بعد أن تركتِ المتجر؟

- عملت في حانة.

- نادلة؟

- لا، كنت صغيرة جدًّا، ولم يكن ليسمح لي أن أكون نادلة.

- إذن، ماذا عملت هناك؟

- مانيكان.

-مانيكان؟

عندما قالتها بالإنجليزية، تذكرت فيلمًا يحمل ذات الاسم "مانيكان". كان عن رجل وقع في حب عارضة

أزياء بلاستيكية وتحولت إلى فتاة. هل يتفوق البشر حقًّا على الجماد؟ ولماذا تخشى الوحوش الكرتونية والآلات من كونهم ليسوا بشرًا؟

- كنت أجلس في حانة، لم أكن أجلس على الكرسي بل فوق المنضدة.

- وماذا تفعلين فوقها؟

- كنت أرتدي ملابس ورقية.

- وظيفة ممتعة!

- كانت الملابس مصنوعة من قطع بحيث يمكنك قطعها واحدة تلو الأخرى، ولكل قطعة سعر مكتوب عليها. كان الزبائن يسكرون وينظرون إلي، ثم يدفعون مقابل قطع قطعة من الورق. لم يكن من المفترض أن أقول أي شيء. لكن الزبائن أرادوا دائمًا التحدث إلي ليروا كيف يتغير تعبيري كلما نزعوا قطعة من الورق.

- كنت لأريد نفس الشيء.

- نعم، لكنني كنت أصغر من أن أفهم ذلك. غريبة هي طبيعة البشر. كنت كلما ارتديت هذا الثوب أتحول. وبرغم أني كرهت قطع الرجال للوريقات بنظرة شبق قذرة، إلا أنني أردت أن يقطعوها كلها. كنت أشعر بالحزن عندما تتبقى ورقة حتى نهاية الدوام. كانت قيمتي هي مجموع تلك الوريقات، وعندما تتبقى بعض القصاصات على جسدي ولا

يمكنني تحويلها إلى نقود، أشعر وكانها أنتقصت من قيمتي. هل تفهم هذا الشعور؟ لن تفهم. ولن يفهم أحد شعور المانيكان.

- حسنًا.

- ذات يوم جاء رجل إلى الحانة وظل يشرب أمامي كل ليلة دون أن ينبس ببنت شفة. شرب زجاجة جعة وسحب ورقة من فوق صدرى الأيسر بقيمة ثلاثين دولارًا. وأخذ يتجرع مشروبه وهو يحدق بصدري. وفعل ذات الشيء كل ليلة. بدا وكأنه مجرد عامل مكتب صغير يرتدي بدلة رثة وربطة عنق رخيصة. كنت أود أن أهديه ذلك الصدر، أردته أن ينعم به طوال الليل حتى ينام، لكنني لم أستطع. كان ليُقطع صدري إذا عبثت مع أحد الزبائن. ظل يأتي كل ليلة لمدة شهر ويفعل ذات الشيء ثم يعود إلى منزله. كدت أصاب بالجنون.

رشفت رشفة من كأسي وأكملت هي:

- ثم ظهر رجل آخر ذات يوم. كان يرتدي بدلة أرماني وبدا وكأنه رجل عصابات. بمجرد أن جلس أمامي قطع ورقة بقيمة ثلاثمائة دولار، وكانت تلك هي الورقة الأعلى سعرًا. وترك جميع الوريقات الأخرى. لكني لم أشعر حينها بخجل كبير. ثم بدأ في نزع الأوراق الأغلى وصولًا الى أرخص ورقة، ثم أشار إلي فركض أحدهم وألقى علي ببعض الملابس ووضعني في سيارة. كان الرجل الأول الذي نزع كل

القطع، فاعتقدت أنني يجب أن أحبه.

تجرعت الكولا مباشرة من الزجاجة بنهم.

- بدأت أعيش معه في منزله. وكنت أرتدي ثوبي الورقي هناك أيضًا، لكن من أجله فقط. وفي كل مرة ينزع القصاصات كان يدفع ثمنها. فصرت أعمل لديه، لكنني لم أشاركه الفراش قط. ولمدة الثلاث أشهر التي عشتهم معه لم يحاول مضاجعتي. لكن بدلًا من ذلك، كان بعدما ينزع كل الوريقات يجبرني على الركوع أمامه ومداعبته وتجرُّع ما يخرج منه، ثم ينام. وفي كل مرة كنت أشرب فيها مياه ايفيان المعدنية التي كانت تملأ منزله، كانت رائحتها تختلط برائحة فمي الكريهة، وبعدها بدأت أشعر أن طعمها كذلك أيضًا. وذات يوم بدأت في جمع سوائله. ظن أن الأمر ممتعًا. أخبرته أنني سأحتفظ بها لوقت لاحق. كنت أجمعها في زجاجة ايفيان فارغة وأحتفظ بها في الثلاجة. وفي اليوم الذي ملأت فيه الزجاجة أخيرًا، ارتديت زيي الورقي مرة أخرى ودفع ثمن جميع الوريقات وجلس على كرسي في انتظار أن أجثو على ركبتي. ذهبت خلفه وصوبت مسدسًا نحو رأسه وأجبرته على شرب الزجاجة كاملة. تقيأ وتقيأ فتركته هناك وهربت، ثم بدأت هذه الرحلة.

فاحت من قصتها رائحة الخيال، ومع ذلك لم أعرف بأي جزء كانت تكذب. ربما كان الجزء الأخير من القصة. فربما تخلى عنها هذا الرجل، وربما كانت

تتخيل تهديده لها وإجبارها على فعل ذلك. لكن لا يهم سواء كان ما تقوله صحيحًا أو خياليًّا، فمن الواضح أنها تتقيأ عندما تشرب الماء. ولا بد أن شيئًا ما حدث لها تسبب في هذا النوع من رد الفعل. قلت لها:

- أظن أننا كلنا هاربون.

- وأنت مم هربت؟

- أنا لست يائسًا مثلك، لكني دائمًا ما أهرب من نفسي. هذا ما اعتدنا عليه في الجحيم.

- جرب شرب ما شربت، فلن تضطر إلى الهرب بعدها.

ضحكت بمرارة ثم جلست فوق ركبتي وواجهتني وقبلتني. كانت هناك فجوة واسعة بيننا، مثل عدم قدرتها على شرب الماء. وعلى الرغم من أن شفتانا ملتصقتان، وعلى الرغم من نومنا معًا، كان هناك نهر يفصلنا ولن يمكننا عبوره أبدًا.

بعدما انتهينا، قامت مترنحة تبحث عن الكولا. وصلت يدها بالخطأ لزجاجة إيفيان في الظلام واختلط عليها الأمر. تركتها وشأنها تتقيأ وتتقيأ. ستتوقف عندما لا تستطيع التقيؤ أكثر.

في اليوم التالي افترقنا. ذهبت أنا إلى بريندیزي متجهًا إلى اليونان، وذهبت هي إلى البندقية. لحسن الحظ جاء القطار المتجه إلى بريندیزي أولًا.

لوحت لي مودعة من رصيف المحطة. أتساءل إذا كانت قد عادت إلى هونج كونج.

عدت إلى حاسوبي وفتحت الملف مرة أخرى. لا بد من تحرير الجزء الأخير من الرواية. آمل أن أنتهي قبل الفجر. عندما أعمل في الليل، لا أشعر بالوقت إلا عندما تشرق الشمس. أبعدت ذهني عن التفكير في يهوديت وفتاة هونج كونج وركزت على العمل.

---

(6)- دادا: هي حركة فنية وثقافية انطلقت من زيوريخ (سويسرا) أثناء الحرب العالمية الأولى كنوع من معاداة الحرب. أثرت الحركة على كل ما له علاقة بالفنون البصرية، الأدب، الشعر، الفن الفوتوغرافي، نظريات الفن، المسرح، والتصميم، ومن أهم روادها الشاعر تريستان تزارا. (المترجمة)

(7)- 1984 "Stranger Than Paradise"-

(8)- "My Funny Valentine" Chet Baker, 1952

(9)- 119 رقم النجدة بجمهورية كوريا الجنوبية. (المترجمة)

4

ميمي

"لم يعد الملل حبي"

- آرثر رامبو، دماء فاسدة.

عندما تلقى "س" مكالمة من "ك"، شعر أن الأمر يتعلق بيهوديت. دائمًا ما يتلقى "س" الأخبارَ السيئة في الصباح الباكر. أخبره "ك" بصوت هادئ أن يهوديت قد رحلت عن عالمنا بسلام، ولم يوبخه أو ينهره مما أزعج "س". لذا استمع في صمت. لم ينس "ك" أن يسأل قبل إنهاء المكالمة:

- هل كنت تعلم أن اليوم الذي غادرتما فيه معًا كان عيد ميلادها؟

- نعم، لكني لم أصدقها آنذاك. اكتشفت أن ذلك كان صحيحًا فقط عندما عدت.

- لم أعرف تاريخ ميلادها إلا بعد أن توفت.

أنهى "ك" المكالمة دون انتظار رد "س". نظر "س" إلى ساعته التي أشارت إلى العاشرة صباحًا، ثم سحب الستائر فغمر نور الشمس الغرفة. خرج إلى الشرفة ودخن لفافة تبغ وشعر أن عقله فارغ تمامًا. اتكأ على السور ونظر إلى الأسفل، بدا الأمر وكأن العالم يسير على ما يرام من الطابق العشرين. ولم يكن أحد يفكر بفتاة تشبه يهوديت هذا الصباح.

أطفأ سيجارته وذهب إلى المطبخ. جلى الصحون المكدسة من الليلة الماضية ورصها بعناية على رف التجفيف.

بدأ الماء يغلي على الموقد أثناء ذلك، فأعد القهوة وأكل كسرة خبز فرنسي كان قد اشتراه البارحة. رأى مقالًا مختبأ بين طيات الجريدة الأسبوعية عن افتتاح معرض فني اليوم. وكان هناك سطران فقط عن أعماله المشاركة بالمعرض. ألقى نظرة على المقالة قبل أن ينهي إفطاره. لم تكن المقالة سوى تحريرًا بسيطًا للبيان الصحفي الذي أرسله منظمي المعرض إلى جميع الصحف. شعر انه فقد الثقة بصحة المقالات الأخرى عندما اكتشف الأمر، لذلك طوى الصحيفة بعد نظرة خاطفة على العناوين الرئيسية فقط.

عادت إلى "س" ذكريات العاصفة الثلجية مرة أخرى. بدا مشهد يهوديت وهي تغادر السيارة وتركب كاسحة الثلج منذ خمس شهور أكثر واقعية الآن. وافتقدها رغم أنه لم يفكر بها منذ شهور. بدأت تغزو حياته من جديد، فدفن نفسه بالأريكة وفكر فيها. لم يستطع تذكر أية تفاصيل ملموسة مثل ملامح وجهها، لكن بدلًا من ذلك تذكر القطب الشمالي وحلوى تشوبا تشوبس وكرات الثلج والمشاعر الفاترة.

رن الهاتف حوالي خمس مرات قبل أن يعمل رد

جهاز الرد الآلي. سمع "س" صوت ميمي ووجهه ملطخ بكريم الحلاقة:

- أنت في المنزل، أليس كذلك؟ أنا في طريقي إليك.

جرحت ماكينة الحلاقة ذقنه جرحًا بسيطًا فتحول الدم إلى اللون الوردي بعدما امتزج بالرغوة البيضاء. لم يكترث وأكمل حلاقته ثم صفع وجنتيه بكولونيا أولد سبايس التي تزين زجاجتها صورة سفينة مبحرة بحثًا عن التوابل، فوخزه الجرح قليلاً. دخل غرفته وارتدى ملابسه وحينها دق الجرس.

بدلًا من التحية دفست ميمي أنفها بوجنته واستنشقت عطر الحلاقة ثم أومأت برأسها موافقة على شيء لم يكن لديه أدنى فكرة عنه. وضعت حذائها ذي الرقبة الطويلة جانبًا وجلست بأريحية على الأريكة ورفعت ركبتيها إلى صدرها وضمتهما بكلتا يديها ثم همست ببطء كما لو كانت تخبره بسر خطير:

- قهوة.

- ليس لدي أي قهوة مطحونة...ما رأيك ببعض شاي الليمون؟

هزت رأسها رفضًا.

- اطحن بعض الحبوب الآن، سأنتظرك.

طحن "س" بعض حبوب القهوة بينما أخذت ميمي

تدندن أغنية ما. كان لديها عادة أن تحرف الألحان عند الدندنة. صفى "س" المسحوق بالمصفاة وأعد القهوة بينما كانت ميمي جالسة دون حراك على الأريكة تعيد ذات اللحن مرارًا وتكرارًا. سكب القهوة في فنجان أزرق خزفي وناولها إياه، لكنها لم تلمسه. كانت تحدق باتجاه الشرفة وسألته:

- ألن نعمل اليوم؟

- اليوم؟

أومأت برأسها إيجابًا.

- نعم، أريد العمل اليوم.

نهضت وبدأت تخلع ملابسها، أمسكها من رسغها قائلًا:

- ليس عليك فعل هذا الآن، دعينا نشرب القهوة أولًا.

- هذا لا يعني أن أظل بملابسي هذه، أعطني الرداء.

أحضر لها رداءً أشعرها بالراحة قليلًا، وبعدها فقط أخذت فنجانها واسترخت.

- القهوة لذيذة.

أمسكت فنجان القهوة بيمينها، ومدت يدها اليسرى خلف رأسها وسحبت دبوس شعرها. انساب شعرها الداكن على كتفيها وبدا وكأنه سيحتل

الغرفة. هزت رأسها برفق عدة مرات لتهذيب مظهر شعرها الفوضوي، فشعر "س" بدوار خفيف. وغمرته رائحة الصابون المنبعثة من شعرها فأحرق سقف فمه بالقهوة الساخنة.

قبل ثلاثة أشهر، جلس "س" في مقهى بشارع ديه هاك وكان يقابله مقهى ثانٍ على الجانب الآخر من الطريق. لم يسمح ضيق الشارع بمرور سيارتين بنفس الوقت إلا بعد اصطدام مراياهم الجانبية. لم يستطع "س" تذكر سبب انتظاره هناك في وقت مبكر جدًّا من الصباح. ربما كان من أجل التخطيط لمعرض ما. تأخر الصديق الذي كان من المفترض أن يقابله عن ميعاده ساعة كاملة، وكانت هذه عادته. ورغم معرفة "س" بهذا، كان يذهب لمقابلته في الميعاد المحدد دائمًا. طالما استمتع بالوقت الذي يقضيه منتظرًا. حيث انه لم يكن ملزمًا بفعل أي شيء خلال هذا الوقت. يمكنه قراءة كتاب أو مشاهدة المارة. على الأقل لن يشعر بعبء ديونه ولا الحاجة لعمل إنجاز ما. وعلى عكس ذلك كان يشعر بالانزعاج إذا انتظره أحد. فالتأخير يجعل الإنسان جزوع وخنوع، ولهذا كان "س" دائمًا من ينتظر.

أعطت الواجهة الزجاجية للمقهى اطلالة رائعة. وكان المقهى المقابل يحمل نفس التصميم. فكأنه كان ينظر عبر مرآة. جلس في مقعد مريح على جانب الطريق وأخذ يراقب المقهى المقابل. كان هناك رجل يرتدى بدلة رمادية يحتسي القهوة

وتتلاقى أعينهم بين الحين والآخر، الأمر الذي أشعر "س" بعدم الارتياح. وفي كل مرة كان "س" يشيح بوجهه ويوجه نظراته نحو المارة بالشارع الذين كانوا ينظرون إلى المقهى أحيانًا فتتلاقى أعينهم أيضا. لذا بدت النوافذ الكبيرة الزجاجية بالمقهى وكأنها شاشة عرض. كان "س" مثلًا يلعب دور رجل يحتسي القهوة والمارة بالشارع هم الجمهور. أو يمكن أن يكون العكس، المارة هم الممثلون، الممثل رقم 1 و2 و3. ولعب معظمهم دور المارة باتقان شديد، لكن البعض نظر إلى "العدسة" مثل ممثل مبتدئ. وكلما حدث ذلك شعر "س" بالاستياء. وهكذا أمضى الوقت في انتظار صديقه، أحيانًا كأحد الجمهور وأحيانًا أخرى كممثل.

عندما أصبحت تلك اللعبة مملة، بدأ في تصور أعماله التي سيشارك بها في المعرض. كان لديه فكرة ضبابية غير مكتملة عن جمع فن الفيديو والأداء. لكنه لم يستقر على موضوع أو تقنية محددة. توالت الأفكار برأسه بين الفن البيئي لكريستو الذي غطى جزيرة في المحيط الهادئ بقطعة قماش، وبين واقعه الفقير الذي يجبره على استخدام كاميرتي فيديو وحاسوب آلي بنظام ماكنتوش. كان عقله يجوب ذهابًا وإيابًا بين المحيط الهادئ واستديو شقته عندما دخلت امرأة إلى المقهى المقابل. ما زال يتذكر حين انساب شعرها الأملس الطويل بفعل هبة ريح مثل ماء ينساب من

شلال. تتبعها بعينيه، أخذت قهوتها على صينية وجلست عند طاولة بالقرب من النافذة التي تواجهه. كانت ترتدي سترة جلدية خفيفة وسروالًا قصيرًا. واستطاع أن يراها حتى قدميها من خلال النافذة، وظل يراقبها.

كانت مختلفة بشكل ما. ربما بسبب ملابسها الأنيقة أو جلستها المميزة. تساءل "س" لوهلة عن سر جاذبيتها، ولم يكتشفه إلا عندما أطفأ رماد سيجارته في فنجان القهوة. كانت ممثلة محترفة، ولم تنظر تجاهه ولو لمرة واحدة. فقط تحتسي قهوتها تحت أشعة الشمس الدافئة. لم تكن تقرأ كتابًا ولا تتفقد حقيبتها أو تعدل زينة وجهها. كانت فقط تهتم بمظهرها على شاشة العرض التي هي بالأصل نافذة زجاجية. وكان جل ما تقوم به هو تمشيط شعرها الأملس للوراء بلطف عندما يتساقط على كتفها كلما مالت برأسها للأمام.

- لابد وأنك انتظرت طويلا.

عندما كان "س" منغمسًا في لعبة التلصص على الفتاة من خلال النافذتين حتى أحرقته عيناه، ظهر صديقه الذي كان يعمل منسقًا مسؤولًا عن التخطيط بمعرض "جي" بمنطقة إنسادونج. جلس المنسق يتتبع نظرات "س" المستمرة إلى المقهى المقابل ثم تمتم:

- ماذا أتى بهذه إلى هنا؟

عبر المنسق الشارع واصطحب الفتاة إلى طاولتهما بالمقهى المقابل. بدا الأمر سيرياليًّا لـ "س"، مثل مشاهدة نمر بإعلان تلفزيوني يقفز خارج الشاشة. عبرت الفتاة من كادر الكاميرا واخترقت الشاشة وجلست على الكرسي المقابل له. كان الموقف محرجًا قليلًا. قدمها المنسق قائلًا:

- رحب ب"يو ميمي". تعرفها بالتأكيد، أليس كذلك؟

انحنى الاثنان ترحيبًا ببعضهما، كان "س" قد سمع عنها من قبل. فقد تحدث البعض عن فنها الاستعراضي في عدة اجتماعات لم يكترث بها، لكن لم يخطر بباله أبدًا أنه سيلتقي بها هكذا. جلس بهدوء وترك صديقه يتحدث.

- كانت هناك بعض الاقتراحات بتضمين عرض فني يوم الافتتاح، لذا قمنا بدعوة الأنسة ميمي. نعتقد أنه سيكون مزيجًا رائعًا، خاصة أن معظم معروضاتنا أما تنصيبية أو مقاطع فيديو.

واصل المنسق كلامه وهو ينظر نظرات خاطفة إلى "س" الذي يبدو أن تحديقه بوجه ميمي آثار تحفظ صديقه. كان وجهها عن قرب شاحبًا نوعًا ما. وأضفى ظلال العيون المتفحم المتناقض مع بشرتها اللؤلؤية جمالًا خاصًّا. بدت في الثلاثين من عمرها لكنها كانت تشبه يهوديت بشكل ما. لم يكن هناك أي شيء مشترك بينها وبين يهوديت التي لم تكترث بأي شيء في العالم، بينما بدت يو

ميمي واثقة جدًا من نفسها. هل كانت رائحتها؟ أم وقفتها؟ أم نظراتها؟ كان "س" مرتبكًا كفاية لعدم معرفة وجه الشبه.

واصل المنسق شرح هدف المعرض وأهميته، لكن ميمي تأففت بعض الشيء كما لو كان الهدف من المعرض لم يتماشى مع أيديولوجيتها. وهذا أربك المنسق ووتره. فسألها في نهاية حديثه إن كانت ستمنحه شرف المشاركة بليلة الافتتاح. بدت وكأنها سترفض لكنها أومأت برأسها بشكل غير متوقع. نظر المنسق إلى "س" متفاجئًا من موافقتها، وشعر "س" أن عليه قول شيء ما فغمغم ببعض عبارات التهنئة وقال:

- شكرًا، سيكون معرضًا رائعًا بفضل تعاونك.

ابتسمت قليلًا لكلمات "س" لكن بدلًا من الرد بادرت بسؤال آخر:

- ما نوع الفن الذي تقوم به؟

رد المنسق نيابة عن "س" الذى بدا مترددًا ولم يستطع العثور على إجابة مناسبة:

- تخصص "س" في الرسم الغربي أثناء دراسته بالكلية. لكنه الآن يعمل بفن الفيديو والأعمال التنصيبية. وأعتقد أنه يعتمد على فن الفيديو أكثر كمصدر دخل.

أنهى كلامه ونظر إلى "س" منتظرًا الموافقة. أومأ

الأخير برأسه على استحياء. سألت ميمي:

- وما نوع الأعمال التي ستقدمها في هذا المعرض؟

رأى "س" بريقًا بعينها الصغيرة التي ملت من مونولوج المنسق فأجاب:

- ما زلت بمرحلة التحضير، لكن ليس لدي فكرة واضحة.

- نعم فهمت.

قالتها وعلى وجهها نظرة ملل تبدو وكأنها تعبير قد ولدت به. ثم ضمت شفتيها ورشفت عصير الكيوي من الماصة. أغمض "س" عينه وتخيل العصير الأخضر ينتشر في كل طرف من أطراف جسدها، ويتغلغل في جميع شعيراتها الدموية، وكأنها تتحول إلى كائن أخضر. كانت تلك الصورة قد أعادت إلى ذهن "س" الشاشة ذات السبعة عشر بوصة التي شاهد العالم من خلالها. بدأ التأثير الأخضر للعصير يتلاشى وامتزجت صورة ميمي في خياله مع صورتها الحقيقية. فتح عينيه وكانت لاتزال تشرب عصير الكيوي. حبس أنفاسه وقدم لها عرضًا مفاجئًا إلى حد ما:

- هل لديك مانع أن نعمل معًا على هذا المشروع؟

لم تكن متفاجئة لكنها تيبست قليلًا. اعتدلت في جلستها وأرجعت شعرها للخلف وقالت:

- أستسمحك عذرا؟ عن ماذا نتحدث؟

- أود أن أصور أداءك بطريقة مماثلة لعرض التشيلو لبيك نام جون(10). على سبيل المثال سألتقط مقطع فيديو لأدائك وأعدله وأحوله لعمل فني. وفي يوم الافتتاح تقومين بعرضك مباشرة كما هو مخطط، ويعرض في خلفيته مقطع الفيديو الذي سأقوم باعداده. مزيج من الأداء وفن الفيديو، ما رأيك؟

بدأت يداه تتعرقان، فلم تكن لديه خطة محددة لكنه حاول إقناعها باستماتة. ودفعته رغبة ملحة لالتقاطها على الشاشة، فأدرك أنه منجذب إليها بشكل خطير وأنه لا يستطيع المقاومة. نظرت بهدوء في عينيه وقالت بعد صمت طويل:

- هل تتقن ركوب الدراجات؟

أجاب متفاجئًا من التحول المفاجئ للمحادثة:

- بالطبع.

- أراد الكثيرون تعليمي ركوب الدراجات، لا أعرف لماذا! لكن على أية حال ركوب الدراجة أمر يصعب إتقانه بمفردك. فدائما ما كان هناك من يتطوع بسند الدراجة من الخلف، ولكن بمجرد أن يتركها كنت أفقد توازني وأسقط. لذلك فقدت الثقة، وعندما يعرض علي أحد تعليمي أفكر مرتين.

لم يستطع "س" معرفة السبب وراء حديثها

المفاجئ عن الدراجات لكنه لم يقاطعها.

- الآن بعد أن سمعت اقتراح السيد "س" بتصوير أدائي فكرت في الأشخاص الذين أرادوا تعليمي ركوب الدراجات. لا أعرف لماذا صراحة، لكن حتى الآن لم أقم بتصوير أو تسجيل عروضي أبدا لسبب أو لآخر. وأشعر أن هذا سيكون أخطر من تعلم ركوب الدراجة، ربما لأنه شيء جديد.

صمتت قليلًا وداعبت شعرها.

قال المنسق:

- أعطوا الأمر فرصة، فالسيد "س" موهوب حقًّا.

ابتسمت قليلًا وقالت:

- يا له من يوم غريب! إحدى تلك الأيام التي لا يمكنك فيها رفض أي طلب.

أخذت قصاصة من حقيبة يدها وكتبت عليها رقم هاتفها وناولته إياها.

- حسنًا سأترككم الآن. هاتفني من فضلك، لكن كن على علم بأني قد أغير رأيي.

خرجت تاركة وراءها هالة ناعمة.

قال المنسق:

- جذابة، أليس كذلك؟

- هناك نوعان من الجمال، جمال للإثارة والآخر

لحماية الذات. برأيك أي نوع هي؟

- حسنًا، الطريقة الوحيدة لمعرفة ذلك هي التقرب لها. لكن الغريب بالأمر أنها لم تسمح لأحد بتصويرها مطلقًا، أكنت تعلم ذلك؟

هز "س" رأسه نفيًا:

- لا، لم أسمع بذلك قط.

- لا تسمح بذلك أبدًا. لذا لا يمكن مشاهدة أدائها إلا بحضور العرض المباشر. ومن فعلوا قالوا إنها كانت رائعة. لكن من الممكن أن تكون شهرتها مبالغ بها، حيث أن صيتها يتنقل من لسان إلى لسان...على أي حال كن حذرًا. فكثير ممن تقربوا إليها تورطوا بأمور غريبة.

حتى لو لم يحذره صديقه، كان "س" قد شعر غريزيًّا باليقظة والاحتياط. ولم ينس أن الأشياء التي تفتنه هي دائمًا ما تدفعه إلى الهاوية. كانت الفراشات المؤطرة هي أول ما فتنه، وكان لا يزال مهووسًا بخيالاته القديمة حيث تعود الفراشات إلى الحياة وتطير حول أجسادها المثبتة بدبابيس. لكن لماذا غرز الدبابيس بأكثر شيء أحبه؟ وكيف فعل في تلك السن المبكرة ما لا يقدر على فعله الآن؟ أدرك أنه ربما كان مفتونًا بأسر الفراشات أكثر من الفراشات نفسها.

كانت كل الفراشات قد احترقت في أحد أيام الربيع

وتحولت إلى رماد. فقد اندلعت النيران بمطبخ منزله وسرعان ما ابتلعت المنزل بأكمله. كان "س" آنذاك عائدًا من المدرسة، فصرخ وهو يفكر في فراشاته. حاولت والدته تهدئته وهو في أوج حزنه بإخباره أنهم سيبنون بيتًا جديدًا، فبكى وانتحب أكثر عندما سمع هذا الكلام.

***

عندما وصل "ك" إلى شقة يهوديت، لم يكن هناك أي أثر متبق لها. بل إن أحدهم كان قد انتقل إلى الشقة بالفعل. جلس "ك" في سيارته المتوقفة في ساحة الانتظار أمام الشقة واستمع إلى الراديو دون إنصات. كانت ذكرى المكالمة التي أجراها مع أخيه صباحًا مزعجة. وكان رد فعل "س" كمن عرف عن حادثة عابرة من إحدى الصحف. ألم تكن تلك الفتاة التي أحبها وشاركها الفراش؟ لم يستطع "ك" فهم أخيه، فقبل أسبوع انتحرت يهوديت بالغاز بعد أن تناولت حبوبًا منومة. كانت خمس شهور قد مرت منذ آخر مرة رأها "ك"، فقد غادرت في صمت بلا أي رسائل أو مكالمات.

ترى ما الذي حدث بين "س" ويهوديت؟ ما عرفه "ك" حق اليقين، أن "س" لم يكن يعرف أن سيه يون قد انتحرت. أدار"ك" محرك السيارة ففاحت رائحة زيت المحرك المحترق، لكنه لم يعر الأمر انتباهًا. لم يكن يعرف وجهته حتى قطع تذكرة من بوابة مرور

منطقة جونج نيه على طريق سيول السريع. أسرعت سيارة ستيلر بمجرد أن خرجت من البوابة. كان "ك" قد استطاع النفاذ من صف السيارات المنتظرة عند البوابة وانطلق إلى الحارة اليسرى. وشعر بقوة تسحب جسده بالكامل إلى الخلف. لكن الشعور هذه المرة كان مختلفًا عما عهده. أحس بالغربة والوحدة فدعس دواسة البنزين بكل قوته. ودفع بشريط كاسيت كان قد ابتاعه منذ أيام إلى المشغل ورفع الصوت إلى الحد الأقصى، فدوت نغمات صاخبة من سماعات السيارة. ثم فتح جميع النوافذ ولم يستطع التفكير في أي شيء. واختلطت الضوضاء الخارجية بصخب الأغنية. ذهب إلى بوسان ثم عاد إلى سيول ثم أعاد الرحلة مرتين حتى احمرت مقلتيه. وعلى الرغم من توقفه أحيانًا محاولًا النوم، إلا أنه لم يفلح أبدًا.

***

لم يكن استوديو "س" جاهزًا لتصوير أداء ميمي بعد. فحص "س" الإضاءة وثبت كاميرا الفيديو على عجل. وأسدل قماشًا أبيض كبيرًا على الحائط ثم مزج بعض الطلاء بعلبة. وعندما أصبح الطلاء جاهزًا، خلعت ميمي رداءها وعلقته برفق على الشماعة وسارت باتجاه القماش. كانت لوحة بيضاء فارغة. تفحصت اللوحة القماشية ووضعية الكاميرا ثم جلست القرفصاء ولمست سطح القماش وابتسمت قليلًا، ربما أحبت ملمسه الخشن.

يقال أن الإنسان البدائي خلق الفن بسبب الخوف الأبيض الكامن بالروح البشرية. فمجرد وجود جدار أبيض فارغ هو أمر مرعب. ولهذا السبب يخدش الأطفال الجدران وأسطح السيارات الجديدة اللامعة بالأنصال، ويملأ الناس الغرف بالأثاث أو اللوحات خوفًا من أي مساحة فارغة. وقد تكون مكالمة هاتفية في وقت متأخر من الليل يُسمع بها صوت أنفاس المتصل فقط كفيلة بجلب أرق لا نهاية له.

جذبت هذه الفرضية القائلة بأن الفن نشأ من الخوف اهتمام "س" عندما بدأ يرسم لأول مرة. قد تكون القدرة على التحكم في الخوف الغامض مجهول المصدر من خلال الفن هي عزاؤه الصغير الذي يعيش عليه. لكن ظل يسأل نفسه، ما الذي يخيفني حقًّا؟

ركز "س" على ميمي واللوحة البيضاء من خلال عدسة كاميرته. كانت ميمي تدور حول القماش في شك. قال لها:

- حسنًا، فلنبدأ.

أدارت ميمي رأسها تجاهه وسألت:

- هل يمكنني الحصول على مشروب أولًا؟

رشفت ثلاث رشفات مباشرة من زجاجة الويسكي.

- فلتتوقفي عن الشرب الآن.

أخذ زجاجة الويسكي من يديها وأمسك علبة طلاء. ركعت ميمي على ركبتيها وغمست شعرها في علبة الطلاء فأدار "س" الكاميرا. نقعت شعرها الطويل في الطلاء بعناية ثم نهضت ببطء وسارت إلى أعلى الزاوية اليسرى من القماش وبدأت ترسم بشعرها. أثناء ذلك سال الطلاء على يديها وركبتيها، وتلونت اللوحة البيضاء تدريجيًا باللون الأزرق. وتابعت الكاميرا حركتها من الأمام والجنب حتى وصلت إلى منتصف اللوحة وضربتها بشعرها ضربة عنيفة. ثم نهضت وانساب شعرها الملطخ بالطلاء في حالة من الفوضى، وتناثر الطلاء على جسدها وسال على صدرها وأسفل ظهرها وبين أردافها. فركت نفسها بهيبة حتى غطى الطلاء جسمها بالكامل وتحولت إلى اللون الأزرق.

قال "س" ولا تزال عينه مثبتة على الكاميرا:

- لا تنظري إلى العدسة.

لكنها تجاهلته وفعلت. وكنهاية للاداء، فركت كفيها الزرقاوتين بوجهها ونظرت مباشرة إلى الكاميرا. فسرت قشعريرة باردة أسفل ظهر "س". رجع للوراء وابتعد عن الكاميرا وراوده شعور غريب بالذنب.

- حسنًا، لنأخذ استراحة.

مسحت جبينها وتنهدت تنهيدة طويلة. يبدو أنها قد عادت إلى رشدها. ثم ابتعدت عن القماش.

- هل تريدين الاغتسال؟

هزت رأسها نفيًا ثم شربت ما تبقى من الويسكي. توهج جسدها مثل يراعة مضيئة بمقبرة مظلمة. قالت وهي ترفع الزجاجة عن شفتيها:

- أنت مختلف.

كانت هذه هي المرة الأولى التي سمع فيها لفظة "أنت" منها. واصلت المرأة ذات الوجه الأزرق الحديث:

- لقد قابلت الكثير من الرجال في حياتي. أحبوني وكنا أحيانًا نعيش سويًّا، لكنهم لم يتمكنوا من فهمي أو التعامل معي. لا أعرف السبب لكن...كيف أمكنك أنت فعل ذلك؟ ما الذي يجعلك مختلفًا عنهم؟

كانت تعرج قليلًا. وربما لم يكن الكحول السبب، بل الإيماءات المجنونة التي قامت بها. كاد يحسدها للحظة، فنانة تثمل من كمال فنها. بينما هو لم يتوحد مع نفسه بهذه الطريقة من قبل، على الأقل لم يفعل مع فنه.

زارت ميمي شقة "س" لأول مرة بعد ثلاثة أيام من لقائهما الأول في المقهى. شاهدت شريط فيديو لعمله في الاستوديو وبدت مهتمة. نظر إليها وهي تشاهد فنه بعناية شديدة، وأدرك أنها تبدو كأحدى شخصيات لوحات بوريس فاليجو. لكنه لم يستطع تذكر اسم اللوحة بالضبط. فقد اعتاد على تذكر

الصور وليس الكلمات.

قالت ميمي:

- أحب الفن الأدائي، مثل التمثيل الصامت.

رد "س" بحذر مغامرًا:

- فن الفيديو أيضًا ممتع.

لكنها لم توافقه.

- في النهاية جل ما تفعله هو النظر إلى شيء ما من خلال عدسة الكاميرا، ثم تعدله وتحرره وأنت تنظر إلى شاشة، وتعرضه على شاشة أخرى. فمتى أصبح الفن معدلًا فقد مصداقيته.

- قد تكون هذه وجهة نظرك. ولكن أليست هذه طبيعة الفن عامة؟ أي عمل سواء كان رسمًا أو نحتًا أو غيره، ما هو إلا تغيير وتعديل للواقع بطريقة ما لجعله أكثر واقعية. فيمكنك القول أن الفن هو انعكاس معدل للواقع.

ألقى "س" نظرة على تعبير وجهها، لم تبد أي نية للتراجع بل ارتفع صوتها واحتد:

- فن الأداء مختلف. أقابل الآخر مباشرة، وأرى الموت والجشع في عيون الجمهور. ووفقًا لما أراه يتغير أدائي على الفور. فإذا اعتبرنا أن الغرض من الفن هو مواجهة الجمال، وخاصة الجمال الحي، ألا يعني هذا أن كل الفنون الأخرى بخلاف فن الأداء

مزيفة؟ كل الانتقادات الموجهة لفن الأداء تنبع من الخوف من الجمال الحقيقي. فالناس تريد حفظ الجمال بسبب ولعهم بالخلود. ويجعلهم هذا عبيدًا لفن ميت.

- وما العيب في الخلود؟ ألا نريده جميعًا؟

حدقت فيه للحظة بازدراء.

- حسنًا، دعنا نتوقف عن الجدال. لكني لا أريد أن أجبر نفسي على هذا الفن الميت. فالحياة قصيرة وليس لدي ما يكفي من الوقت للأنجاز كل ما أريد.

- لماذا تخافين من التصوير؟

اتسعت عيناها وكأنها على وشك السب:

- أخاف؟! الأمر أنه فقط لا يعجبني.

- غالبًا ما يتخفى الخوف بعباءة الكراهية. وإذا كنت تريدين تعلم ركوب الدراجة، فعليك أن تديري مقبض التحكم في الاتجاه الذي تسقطين فيه، وتدعسي البدال بقوة.

بدت وكأنها تفكر في كلماته في صمت طال لوهلة، لكن صمتها لم يكن دليلًا على الاقتناع.

- أليس الأمر عينه بالنسبة لك؟ فأنت تخاف مني ومن مواجهتي مباشرة. أليس هذا هو سبب إخراجك للفيديو؟ ربما من عليه إدارة المقبض في اتجاه السقوط هو أنت ولست أنا.

ارتفعت نبرة صوتها تدريجيًّا ولكنها فقدت الثقة، وكان الأمر كذلك بالنسبة له أيضًا.

- إذن...

توقف لحظة لالتقاط أنفاسه.

- إذن لماذا قبلت عرضي؟ ولماذا أتيت إلى الاستوديو؟

- لنرى...

تراجعت وأشعلت لفافة تبغ.

- لا أعرف السبب حتى الآن. أعتقد أحيانًا أن عملي لن يكون خالصًا لي حقًّا إذا نقل عبر وسيط آخر. بل في الواقع، لدي شعور غامض أنه إذا حدث ذلك، فهذه الحياة التي أسستها وحافظت عليها سوف تنهار كليًّا. سخف أليس كذلك؟ قد يعتقد الآخرون أنها ليست مشكلة كبيرة، وربما أبالغ بالأمر كثيرًا. لذا تساءلت فقط إن كانت هناك طريقة أخرى لصنع الفن.

- حسنًا، دعينا إذا نحاول العمل معًا.

وافقت على اقتراحه ونفثت دخان سيجارتها وتابعته بعينها وهو يتلاشى ببطء.

- كانت تجربتي العاطفية الأولى عندما كنت بالمرحلة الثانوية. كان أستاذي الكوري. اعتاد على مهاتفتي واصطحابي لنزل قريب. وكان ذلك يحدث

أثناء الدروس الإضافية، وأحيانًا أيام الأحاد. لن أدعي أنه كان اغتصابًا، لكنه لم يكن حبًا أيضًا. كانت علاقة مخزية للغاية. أتعرف؟ عندما أعيد التفكير في الأمر الآن، لا أعتقد أنني أحببته حقًّا. كل ما في الأمر أن هذا المعلم كان يحظى بشعبية كبيرة بين الفتيات، لذا كان مصدر فخر لي أن يفعل هذا معي.

ثم قابلت زوجته يومًا ما. كان ذلك أثناء درسي الإضافي عندما طلبت مني امرأة لم أقابلها من قبل الخروج. عرفت من هي على الفور. كانت واثقة من نفسها وحدثتني بروية وبوجه جامد. قالت: "حسنًا، أنت إذن تلك الفتاة الجميلة. أتحبين معلمك؟" أومأت برأسي ليس لأنني أحبه، لكني لم أحب أسلوبها البارد المتغطرس، لهذا تعمدت أن أكون لئيمة. أخبرتني بنبرة ودية كما لو كانت تحدث أختها الصغيرة: "لا يمكنك فعل ذلك خاصة معه" ماذا تعتقد أني فعلت؟

- لا أعرف.

هز "س" كتفه وربما أومأت هي مرة أخرى:

- صرخت. صرخت بجنون ودبدبت بقدمي حتى خرج جميع الطلبة والمعلمين من الفصول إلى الرواق. ما زلت لا أستطيع نسيان تعبيرها في ذلك الوقت، كانت هادئة تمامًا دون أي تأثر...من يمكنه أن يظل هادئًا في مثل هذا الموقف؟ كنت خائفة لذا ظللت أصرخ، وفي النهاية ظهر معلمي. صفعته زوجته

ونزلت بكل هدوء للفناء واختفت. اتضح الأمر برمته للآخرين، ومنذ اليوم التالي لم يحضر هذا المعلم إلى المدرسة وسمعت بعد ذلك أنه انفصل عن زوجته. ولامني الجميع على ذلك. قصة سخيفة أليس كذلك؟

أثناء الاستراحة توجهت ميمي إلى الحمام واغتسلت. نظفت جسدها بعناية شديدة كما لو كانت ستغطس بماء مقدس لطقوس دينية ما. غسلت شعرها بمذيب للطلاء لتنظيف اللون الأزرق تمامًا ثم سألته:

- ما هو اللون التالي؟

- دعينا نجرب اللون الأسود، ما رأيك؟

أومأت برأسها وغمرت رأسها في علبة الدهان، ورفعت ركبتيها لتقوم من ركوعها. نهضت بثقة كما لو لم يكن هناك أحد في الغرفة سواها. وما إن بدأت أداءها أصبح شعرها مجرد فرشاة وفقد كل نضارته ولمعانه. كان "س" يشعر برغبة عارمة مثل لُغم ساكن كلما نظر إليها. وفي كل مرة يحاول صب تركيزه على العدسة.

تحول جسدها إلى عصا فرشاة وشعرها رأس تلك الفرشاة. وتابع "س" حركاتها من خلال شاشة الكاميرا الزرقاء. وجد نفسه أكثر اعتيادًا على رؤية العالم من خلال تلك الشاشة. حتى عندما يتجول في الشارع، كان يقسم المشاهد كما لو كان ينظر

من خلال عدسة الكاميرا دون قصد. وكان يثق في مشاهد الفيديو التي عدلها أكثر من تلك التي رآها بأم عينيه. فأصبحت كاميرا الفيديو سلاحًا وملاذًا صغيرًا ولكنه آمن. وربما لهذا السبب لم يستطع التقرب من فنانة الأداء الساحرة التي تقف أمامه. أراد البقاء في عالمه الذي خلقه والفه. بدأت ميمي تدندن لحنًا لا يعرفه واعتقد أنها على وشك البكاء.

لن يتخطى "س" أبدا تلك المسافة التي تفصلهما، فشعر باليأس أنه لن يجد في نفسه الشجاعة الكافية لعبور الهوة التي تفصله عن الواقع. فكر في كل النساء اللاتي قابلهن، وفكر في يهوديت التي سافرت إلى القطب الشمالي. كان قد أدرك في سن الثلاثين أن الحب أيضًا موهبة.

***

قطعت سيارة "ك" الأجرة ما بين 170 لـ 180 كيلومترًا في الساعة بمنطقة جومي على طريق كيونج بو السريع ذي الاتجاهين. ابتلعه نفق ظهر أمامه في لحظة، فدق الطنين أذنه لكنه لم يشعر به حقًّا. كانت كل حواسه تنهار ببطء. حتى أنه لم يعد يشعر بالريح تصفع وجهه، ولا بالموسيقى الصاخبة، ولا النعاس والجوع والسرعة. كانت مشاعره ضبابية كما لو كان يحلم. كما كانت قدرته على تجنب الاصطدام بالسيارات الأخرى غريزية أكثر منها يقظة. وعندما مر عبر النفق، انفجرت السماعات فجأة. فترنح

للحظة عندما اختفى الضجيج الذي كان يصم أذنيه لأكثر من عشر ساعات. ساد الصمت وانحرفت السيارة من حارة إلى أخرى ودفعت إلى الحافة، فدعس "ك" بخفة دواسة الوقود بدلًا من المكابح واستعاد توازن السيارة بعدما كشط جزءًا من سور الطريق متفاديًا تحطيمه بالكامل. يميل السائقون عديمو الخبرة إلى استخدام المكابح في هذه المواقف مما يتسبب في انقلاب السيارة، لكن بدلًا من ذلك يجب التأكد من التعامل مع تارة التحكم برفق، والتناوب بسرعة بين الضغط على دواسة الوقود والفرامل لاستعادة التوازن. عندما سيطر "ك" تمامًا على السيارة، أبطأ وتوقف على جانب الطريق. بدا الهدوء الذي عقب انفجار السماعات مريبًا، كصمت بداية الكون أو هدوء الأرحام، فلم يسمع سوى صوت السيارات المارة وشعر وكأنه جن. فخرج من السيارة لاستنشاق الهواء البارد.

- أين يجب أن نذهب؟

سأل "ك" نفسه لكنه لم يجد إجابة. وقف على جانب الطريق للحظة متسائلًا عن وجهته دون قرار. وأدرك لوهلة أنه لم يسأل نفسه هذا السؤال أبدًا. كان دائمًا ما يفكر بالوجهة بعد الجلوس خلف عجلة القيادة ودعس دواسة الوقود.

***

جاءت ميمي لزيارة "س" بعدما انتهى التصوير

وكان "س" على وشك الانتهاء من تحرير الفيديو. بدت ذابلة، وكأنما المرأة التي ضربت اللوحة بشعرها وجسدها بكل عنفوان قد اختفت ولم يتبق منها سوى ذكرى.

- أين كنتِ؟

قالت ميمي مازحة:

- كنت أفكر في من يعتقدون أن روحهم ستحبس بالكاميرا إلى الأبد.

بدت متعبة وضحكت بصعوبة كمن لم يضحك منذ دهر. حتى أن عضلات وجنتيها قد ارتعشت فقط من الابتسام.

- تفضلي بالدخول.

دخلت على مهل وتفقدت الغرفة ثم جلست على الأريكة كما لو كانت تزور المكان لأول مرة.

- هل تريدين قدحًا من الشاي؟

هزت رأسها رفضًا فتطاير شعرها الكثيف مع حركة رأسها.

- كيف حالك؟

- كنت أتساءل لو أمكنني مشاهدة الشريط؟

رفض "س" رفضًا قاطعًا.

- لا.

- ولِم لا؟ ألا يمكنني مشاهدة شريط لأدائي الخاص؟

ارتجف صوتها لكنها لم تتوسل. كان الأمر أشبه بمونولوج. مجرد محادثة ذاتية لممثل لا يُفترض أن تُسمع، لكنها في نهاية الأمر تُقال جهرًا.

- نعم، إن الشريط ينقل صورتك وأدائك. لكن تلك لست أنت حقًّا، ولا أنا. إنه عمل فني صورته وحررته.

ولَّد رفضه لطلبها لذة سرية في نفسه رغم أنه لم يملك سببًا حقيقيًّا للرفض.

- هذا ليس سببًا مقنعًا. أعتقد أن لدي الحق في رؤيته مرة واحدة على الأقل.

- لماذا تريدين مشاهدته؟

- لا أريد أخبارك بدوافعي، فقط دعني أراه من فضلك.

جاءت كلمات ميمي مرة أخرى جوفاء مثل المونولوج. لكن "س" غير رأيه وأخذ الشريط وأدخله بمشغل الفيديو. وأخذت ميمي تقضم أظافرها بينما يفعل.

- هل تقضمين أظافرك عادة؟

عندما سألها "س" تفاجأت وأنزلت يديها على الفور.

- عادة قديمة لم أفعلها منذ فترة، أعتقد أنني متوترة رغما عني.

كان من الطبيعي أن تتوتر، فكان أداؤها محض جنون وانفجار للشغف والمشاعر. وربما كانت تواجه نفسها للمرة الأولى.

شغل "س" الشريط ذو المقطع الأصلي قبل التعديل. وحدقت ميمي بالشاشة بلا حراك. ساد الغرفة صمت مطبق وكأنها محفل ديني ما، حتى "س" الذي كان قد شاهدت الشريط عشرات المرات تملكه نفس الشعور، ولم يسعه سوى حبس أنفاسه حتى النهاية. كانت ميمي تجوب اللوحة القماشية بكل جسدها على الشاشة، وتلطخها باللون الأسود، فينزلق شعرها على آثار خلفها صدرها تارة، ثم تضرب اللوحة بجسدها كله تار. وتمتمت طوال أدائها بكلمات لم تعرف لغتها كما لو كانت تلقي تعويذة شامان من الهنود الحمر.

- أطفئه.

قالتها بنبرة آمرة. أوقف "س" الفيديو فورًا بجهاز التحكم عن بعد. نهضت من على الأريكة وأخذت تقطع الغرفة ذهابًا وإيابًا وتتمتم بأغنية كانت أو تعويذة كما فعلت بالفيديو، ولم تنزل عيناها من على شاشة.

- أعطني هذا الشريط، لا يمكننا عرضه.

- ماذا؟

قفز "س" من مقعده مذعورًا إثر ذعرها وأكمل:

- لا يمكنك أخذه!

- لِم لا؟

بدأت تهدأ قليلًا. فاقترب منها وربط على كتفيها وأجلسها على كرسي. لكنها كانت تتجنب النظر إلى عينيه.

- لا يمكنكِ فعل هذا الآن، لن يذهب كل هذا المجهود سدى.

أقنعها بنبرة عنيدة. كان "س" مؤمنا أن الوقت الذي تستثمره في شيء ما يتناسب مع حجم هوسك به. والحب والفن وكل شيء آخر ليس بمنأى عن هذا القانون.

- لماذا تخافين من هذا الفيديو؟ هذه ليست أنت. لقد عدلته بالفعل وأداؤك استحق كل هذا العناء، كما أن فن الفيديو مختلف تمامًا ولا ينتقص من إبداعك. لماذا لا تفهمين ذلك؟

- إذن...

قالت ميمي وهي تنظر مباشرة في عينيه:

- لماذا تخاف أنت مني؟

ابتسمت ابتسامة خافتة، بينما جفل "س".

- حسنًا، لم أكن أتوقع أن تعطيني الشريط أيضًا. فأنت تعشق من في هذا الشريط أكثر من حقيقتها. وهكذا لن تكون هناك مجازفة أو خطر. أنت على

حق، لست أنا من في تلك الشريط، هذا أنت.

نهضت وغادرت. وراقبها "س" تفعل وهو شارد الذهن، ولم يستطع التحرك قيد أنملة كمن أصيب بشلل. ها قد ذهبت ميمي أيضًا.

ظل "س" مريضًا لمدة ثلاثة أيام. دمر الخمول جسده، وأمضى الوقت كله في شرب الجعة وإعادة شريط ميمي عشرات المرات.

بعدما تعافى، عمل بلا كلل لإنهاء تعديل المشروع. فمزج أداء ميمي مع نصوص شامان كورية وبعض رسومات الفنان التجريدي لي اونج نو(11). لم يتصل به أحد طوال تلك المدة سوى المعرض يحثه على الحضور وتقديم أعماله المشاركة. واتصل هو بيهوديت ليسمع بدل صوتها رسالة مسجلة تفيد بأن الرقم غير صحيح. هاتف نساء أخريات كن قد انفصلن عنه منذ زمن طويل. وتلقين جميعًا مكالماته بأصوات خافتة وفاترة، ليدرك أنه مجرد شخص خطير ومزعج.

اختفت ميمي وانقطع بينهما الاتصال حتى يوم الافتتاح. أحيانا كان يعرج بالمعرض للمساعدة بالتحضيرات بعد أن انتهى من تسليم عمله المشارك. سأل صديقه عن حال ميمي، لكنه لم يكن يعرف عنها شيئًا أيضا. فأخبره "س" أنه يخشى ألا تأتي، فهي لا ترد على الهاتف. رفع الصديق كتفيه وبسط ذراعيه وقال إنه ما باليد حيلة. عاد "س" إلى منزله ذلك اليوم وشاهد ميمي على شريط فيديو

حتى الفجر.

***

أخذ "ك" طريق يون دونج السريع من تقاطع سيجنال. وبعد حوالي عشر دقائق أخذ مخرجًا باتجاه حديقة يونجين. خمس دقائق من التنقل في المنحنيات أوصلته إلى مضمار سباق يونجين. فتوجه إلى ساحة انتظار السيارات حيث شعر بجوع شديد. اشترى شطيرة لحم من مطعم قريب للوجبات الخفيفة وتناولها على عجل، وجلس يراقب السيارات وهي تدور حول المضمار. كانت كل السيارات لامعة وبراقة، وزينت بعلامات شركات كبرى للتبغ مثل مارلبورو وسالم، وزودت بكماليات رائعة. كما استغنى معظم السائقين عن كاتمات الصوت، فأصدرت السيارات هديرًا صاخبًا حتى عندما لم تنطلق بسرعتها القصوى.

كان "ك" يقدس السرعة باعتبارها إلهًا على مدى السنوات الخمس الماضية. لكن هذا الإله لم يكن كريمًا معه. فقد وهب الفرصة فقط لمن قدموا القرابين وضحوا بما يكفي. وها هم عباده المصطفون يدورون حول مضمار السباق، وينفقون مئات الملايين لتجديد سياراتهم وطلب إطارات خاصة، ولا يترددون في فعل أي شيء لكسب ثانية واحدة خلال السباق، حتى انهم نزعوا المقاعد الخلفية. كان "ك" يتفهم تلك التضحيات، فلم يكن

بتلك السيارات جرامًا واحدًا غير ضروري، وذلك لضمان التمتع بأقصى سرعة.

في أيام الأحد عندما كان المرآب الذي يعمل فيه "ك" مغلقًا، كان يأتي إلى هنا بإحدى سيارات الزبائن ويقضي اليوم في مشاهدة السيارات وتناول الشطائر الباردة. وفي بعض الأحيان تمكن من مشاهدة سباق فعلي وليس إحماءات فقط. وشعر بإثارة كبيرة عندما انقلبت بعض السيارات، لكنه حسد حتى السائقين المصابين الذين زحفوا من سياراتهم المقلوبة.

أثناء السباقات، السيارات التي تتجاوز الآخرين عند المنعطفات نادرًا ما تستخدم المكابح. بل إن الطريقة الوحيدة للمضي قدمًا هي المراوغة واستخدام غيارات السرعة. تصاعدت رائحة المطاط المحترق المنبعثة من احتكاك الإطارات في المدرجات. إذا ارتكبت خطأً بسيطًا هنا فسوف تنقلب السيارة أو تخرج من المضمار وتتحطم. وقد يكون المتسابقون في مثل هذه السيارات أكثر وعيًا بتلك الحقيقة من "ك". لكن على الرغم من ذلك فهم يدعسون دواسة الوقود بقوة رغمًا عنهم. وهذه هي التضحيات التي يريدها إله السرعة. وعندما تُقدم سيارة واحدة مسرعة كقربان، يشعر المتسابقون الآخرون بالارتياح وليس القلق. فهم يعتقدون أن مصائب المتسابقين الآخرين تقلل من سوء حظهم. وكذلك اعتقد "ك" أيضًا.

لكن إله السرعة لم يمنح "ك" حتى رفاهية الحوادث. وكان جلي أنه لن يمنحه فيراري أو لامبورجيني تتجاوز سرعتها 250 كيلومترًا في الساعة بسلاسة وثبات. ولا حتى أي سيارة أخرى جيدة بما يكفي للمشاركة في مثل هذا السباق. ومنذ أن أدرك "ك" ذلك، شغل نفسه بقيادة سيارات الأجرة وتوقف عن حضور السباقات. وكان سعيدًا بسيارته الستيلر تي اكس لفترة من الوقت. وحينها أيضًا قابل سي يون، لكنها لم تعد جزءًا من هذا العالم بعد الآن.

عزم "ك" على حرق كل شيء. صور السيارات عديمة الفائدة التي تملأ أدراج غرفته. فلن تحدث معرفته بمحرك السيارة وسرعتها القصوى وقدرتها الحصانية أي فرق على الإطلاق. عاد "ك" إلى موقف السيارات وركب سيارته الأجرة وفكر في حتمية لقاء "س" بغض النظر عما دار بينهما.

***

اجتمع كل الفنانين المشاركين يوم افتتاح المعرض في حفل استقبال بسيط. ذلك عندما ظهرت ميمي عند المدخل. كانت ترتدي معطفًا أسود طويلًا يصل إلى كاحليها، وأقراطًا ملونة تتدلى من أذنيها. وقف جميع الفنانين والجماهير في صمت. حيتهم ميمي بأدب بانحناءة قصيرة. وتلا ذلك كلمة افتتاحية لمنسق المعرض. وعندما جاء دورها، سارت ميمي الى عمل "س" واستدارت نحو الجمهور، ووقفت تحت

الأضواء ثم علا صوت الموسيقى. انحنت للجمهور مثل الملكة ثم توارت في غرفة جانبية. خفتت الأضواء وسُمع صوت فتح باب الغرفة. خرجت من الغرفة وعندما توقف صوت خطواتها، أضاءت الأنوار مرة أخرى. وانعكس الضوء على جسدها المخملي فأضاء جميع أنحاء القاعة. وكان في خلفيتها فيديو "س" وهي تتلوى على القماش وتحوله للون الأزرق. أدارت ميمي رأسها لتلقي نظرة على الفيديو، ثم خطت خطوة للخلف وواجهت الجمهور لتبدأ أداءها الحي. لمع نصل فضي في يدها اليمنى، وزحفت بنعومة وبطء لأعلى اللوحة كقطة، ثم رفعت يدها اليمنى عاليًا وكأنما فوجئت بشيء ما على القماش، ومزقت القماش بالنصل الفضي. ترددت أصداء قطع القماش في القاعة وسط صمت مطبق من الجمهور، ولم يسطع أي ضوء سوى ذلك الضوء المنبعث منها، وكأنها كائن ما يقف فوق اللوحة الممزقة.

هل كانت تؤدي رقصة السيف؟ كانت حركاتها بطيئة للغاية وأحيانًا سريعة وخفيفة بشكل غير متوقع مثل الطيور الجارحة. وسرعان ما مزقت اللوحة إربًا وحولتها لخرقة بالية. ظلت ترقص وتتحرك، لكنها ركزت أكثر على تمزيق اللوحة.

عندما لم يتبق شيء لتمزقه، قامت وقفت منتصبة مثل تمثال رخامي على القماش الممزق وشدَّت بيدها اليسرى شعرها الغني الناعم ثم قصته بعنف بالسكين الذي كان في يمناها. تراكمت خصلات

الشعر السوداء المتساقطة على اللوحة البيضاء الممزقة، فشعر "س" بقشعريرة تسري في أصابع قدمه. والتفت إلى الفيديو ليرى ميمي تلون بشعرها الحريري، بينما كادت ميمي الحقيقة أن تنتهي من قصة شعرها الذي ظن أنها ستستمر إلى الأبد. ارتجفت ساقاه قليلًا، وأسقطت ميمي السكين ليظهر شعرها قصيرًا وأشعثًا. ثم دلفت إلى الغرفة الجانبية حيث تركت معطفها. ظن "س" في تلك اللحظة أنه رأى ظهر يهوديت، وأن ميمي دلفت إلى القطب الشمالي. وتذكر يهوديت التي اختفت في الثلج في ذكرى ميلادها. صفق الجمهور تصفيقا حذرًا لكن"س" لم يستطع البقاء في القاعة أكثر من ذلك.

خرج من المعرض وتجول في شوارع إنسادونج. وشعر أنه بحاجة لاحتساء بعض الشاي الأخضر الدافئ بأحد المقاهي، ذلك عندما سمع صوت ميمي من خلفه.

- أدرت مقبض التحكم في اتجاه السقوط. الآن إذا دعست البدال بقوة ربما أتمكن من الذهاب إلى مكان آخر.

كانت ميمي ترتدي قبعة سوداء.

- لكنك لم تفعلي؟

التفت للنظر إليها. مرَّت السيارات في الطريق ذي الاتجاه واحد، وومضت مصابيحها الأمامية بشكل

متقطع.

- أتعلم شيئًا؟ الطيور على أشكالها تقع.

- حقًّا؟

- هل تعرف لماذا قررت العمل معك في حين أنني لم أسمح مطلقًا بتصويري؟

- أخبريني رجاءً.

- شاركت الشتاء الماضي بعرض في حفل افتتاح مقهى يملكه شاعر. لم تكن الصفقة مربحة لكنها كانت من ضمن الأنشطة التي أقوم بها دائمًا. وقد أديت عرضي كما أفعل في المعتاد، ثم شربت مع مجموعة صغيرة من الحضور وغادرت. كان الجو عاصفًا حيث كنا في أواخر الخريف، وسرت مسافة ثلاث محطات، لا أعرف لماذا لكني واصلت السير ليظهر فجأة رجل ويسألني إن كنت أحب جوستاف كليمت، رددت "نعم". أعجبني الرجل. كان غريبًا. وبعد أن قضيت معه يومين قررت الانتحار. عارضت نصيحته واخترت أن اقطع شرايين معصمي في حوض الاستحمام. تتساءل عن السبب؟ بلا سبب! قد يبدو أن من يقدم على فعل ذلك يدفعه سبب عظيم، لكن الأمر ليس كذلك. ربما كان السبب هو أداء اليوم. فلأكثر من عقد اعتقدت أنني أقدم فنًّا حقيقيًّا، لكنني أدركت فجأة أنه لم يكن كذلك. أعتقد أني لم أشاهد أدائي قبلًا قط، عشت حياتي كلها أهرب من مشاهدته. وأهرب من هذا وذاك. ومن هنا وهناك. عشت حياتي

هاربة. وفي ذلك اليوم، أخبرت هذا الرجل كل شيء. عانقني واستمع إلي في صمت. كان دافئًا وحنونًا لدرجة أنني شممت فيه رائحة الموت. وأدركت أخيرًا ما كنت أهرب منه.

واصلت حديثها متكئة على جدار المبنى ومحدقة في لافتة ما معلقة في الأعلى.

- وضعت الماء في حوض الاستحمام وخلعت ملابسي، ونظرت إلى انعكاسي في المرآة، لماذا لم أعرف نفسي؟ عندما دخلت حوض الاستحمام وأخذت السكين الذي أعطاني إياه، أردت أن أرى نفسي في المرآة مرة أخرى. خرجت من الحوض ثلاث مرات. ابتسم لي الرجل عند باب الحمام وقال لي: "أخبرتك أن الأمر لن يكون سهلًا، جففي جسدك وتعالي، وأعطني هذا السكين" سلمته السكين وصرفت مياه الحوض وجففت نفسي. وعندما هممت بالخروج من الحمام أصبت بدوار شديد وفقدت الوعي. استيقظت بين ذراعيه. كان يقظًا تمام اليقظة. وعندما أخبرني أنه لم يفت الأوان على العودة له لاحقًا، شعرت وكأنني ولدت من جديد. أخبرني أنني بحاجة إلى قسط من الراحة، وأن علي اعتبار ما حدث فرصتي الأخيرة. وإذا كان هناك فكرة طالما رفضتها فإنه يجب علي أن أجربها قبل فوات الأوان. أخبرته بكل شيء، وكم أردت أن أرى أدائي بأم عيني لمرة. وحينها أعطاني اسمك. وعندما اتصل بي صديقك المنسق بخصوص هذا المعرض، كنت سعيدة برؤية

اسمك في قائمة المشاركين.

- لكن لماذا طلبت أخذ الشريط؟

- حسنًا، هل يجب أن أعترف أنني كرهت حبسي بشريط يمكن إعادته لآلاف المرات وللأبد؟ ولم أستطع تحمل فكرة أنه من بين كل الناس كان هذا الشريط بين يديك أنت. لماذا لم تحبني؟ لكان ذلك أسهل بكثير لكلينا.

حدقت ميمي به لفترة طويلة ثم غادرت بهدوء. ولم ينظر هو إلى الوراء. عاد إلى صالة العرض، وعندما وصل رأى شخصًا مألوفًا عند المدخل لكنه لم يستطع التعرف عليه. انحنى له الرجل تحية فرد "س" له التحية ودخل القاعة باتجاه عمله حيث كان هناك رجل آخر يقف أمامه ويتأمل الفيديو. لكن هذه المرة كان "س" يعرف من هو هذا الرجل.

- ماذا هناك؟

قال "ك" وهو ما زال ينظر للفيديو:

- شعرت أن علي أن أخبرك بشيء.

- بخصوص سي يون؟

- أنا لست هنا لألومك، أنا فقط أريد أن أحكي القصة من وجهة نظري.

- نعم، لا يجب أن يُلام أحد على ما حدث.

- لم أكن غاضبًا عندما بدأت أشم رائحة غسولك كلما

اقتربت من سي يون. لكن الأمر كان مرهقًا وشق علي تقبله.

كانت عيون "ك" محتقنة بالدم وبرزت عروق جبينه. ظن "س" لوهلة أن شقيقه لوحة فنية مفرطة الواقعية.

- لكن رؤية عملك تشعرني بالغثيان تجاه نفسي وتجاهك. ستظل تعيش هكذا دائما وكأنك محور الكون، وسأظل أكسب قوت يومي من شحم المحركات. أتساءل فقط متى ستنتهي حياتي ذات الكروت الخاسرة. أفكر في القيادة بأسرع ما يمكن اليوم، لطالما رفعت قدمي من على دواسة الوقود في آخر لحظة، لكن الآن أريد أن ادعسها بكل قوتي حتى أطير.

- إن كنت تريد هذا حقًا فليس بوسعي منعك.

- كنت أعلم أنك ستقول ذلك وبالمناسبة، أتيت اليوم لأن لدي شيئًا مهما حقًا أردت إخبارك به. هل تتذكر عندما احترق منزلنا؟

- بالطبع أتذكر.

- احترقت كل فراشاتك وبكيت طوال الليل. لكني كنت أيضا في المنزل عندما اشتعل الحريق. وعندما عدت من المدرسة كان أول ما سألت عنه هو الفراشات.

فكر "س" أنه على الأغلب فعل ذلك، فابتسم

بمرارة.

- عدت من المدرسة إلى المنزل مبكرًا هذا اليوم، وأخذت إحدى فراشاتك وأضرمت فيها النيران. لم أكن أفكر بأي شيء بينما تلتهم النار أجنحتها وتحرق جسدها ببطء. كان الأمر مثيرًا للغاية، والآن عندما أفكر بالأمر ثانية، ربما كان هذا هو ذات الشعور الذي شعرت به عندما نمت مع فتاة لأول مرة. وربما شعرت هكذا لأنني علمت أنك تهتم حقًّا بهذه الفراشات. وبينما كنت أحرق فراشة تلو الأخرى، نشبت النيران في مكان ما بالغرفة. ولم أدرك أن الأغطية قد اشتعلت ايضا، فواصلت حرق الفراشات المتبقية. وسرعان ما طالت النيران الحائط وامتدت إلى السقف، فهربت خارج المنزل. وعندما عدت أنت وبكيت على الفراشات، كنت خائفًا ومتوترًا، ولكني كنت منتشيًا أيضًا.

- وهل أتيت لتخبرني بهذا الآن؟

- طالما أردت إخبارك.

- لا عليك. كانت فراشات ميتة على أي حال.

- لقد فعلت نفس الشيء مع سي يون.

أنهي "ك" جملته وخرج من القاعة. ولم يوقفه "س". وكان هذا هو المتوقع من "س" حتى مع انزعاجه من كلام "ك". عندما عاد "س" إلى شقته أدار شريط ميمي وعاده-كما قالت- مئات وآلاف المرات.

ظل يشاهد الفيديو حتى وقت متأخر من الليل حتى غلبه النعاس. وخلق التعب والملل حاجزًا بينه وبين الشاشة. وبمجرد أن استيقظ من غفلته التي دامت سويعات، رأى شاشة مقاس 17 بوصة ينبعث منها ضوء في غرفة مظلمة. وتعرض خطوطًا إلكترونية ملونة وغير منتظمة. ورأى شقته وكأنها كهف عميق ومظلم والشاشة الزرقاء هي الإضاءة الوحيدة الساطعة به. وبداخلها ميمي، أو ربما يهوديت. ضغط على زر الإعادة وشعر بظمأ شديد.

---

(10)- بيك نام جون فنان ولد في سيول عام 1932، وانتقل إلى الولايات المتحدة في عام 1964 حيث عاش وعمل حتى وفاته في عام 2006، ومع انتشار التلفاز في الستينيات، بدأ في تجربة فنية فريدة، وكان رائدًا بفن الوسائط حيث استخدم بيك جهاز التلفاز كعنصر تركيبي بدلًا من مجرد وسيط لنقل الصورة والصوت.

في عام 1971، قدم بيك لأول مرة حفلة تشيلو للتلفزيون، في هذه اللوحة الأدائية استخدم تركيبا نحتيًا للتشيلو يتكون من ثلاثة صناديق أكريليك تعرض على ثلاثة أجهزة تلفاز منفصلة جزئيًا. (المترجمة)

(11)- لي اونج نو: رساما فرنسيًا كوري المولد تركزت أعماله بشكل أساسي على الفن الشرقي واللوحات الكورية والطباعة. (المترجمة)

5

موت ساردانابال

انتهيت من تحرير الرواية. لم تكن الشمس قد أشرقت بعد. وضعت الورق في الطابعة وبدأت في طباعة ما كتبته. كان صوت ماريا كالاس يشدو طوال الليل من مشغل الأقراص المدمجة. أحب ماريا كالاس غريبة الأطوار. كانت ذبذبات صوتها قد مزقت مكبرات الصوت في منزلي ذات مرة، لكنها وهبت من عذوبة الصوت ما يغفر لها كل هذا.

سحبت كتابًا فنيًّا لأتصفحه حتى تنتهي الطباعة. أتمنى أن أملأ أرفف مكتبتي بالكتب الفنية واللوحات فقط. وأعتقد أنه سيمكنني تحقيق هذا الحلم عندما أنتهي من هذه الرواية. كان موضوع الكتاب الذي وقعت يدي عليه هو ديلاكروا. لست مولعًا بالحقبة الرومانسية، فروادها يبالغون في تقدير العاطفة. لكني أحب أعمال ديلاكروا فقط.

كانت لوحة "موت ساردانابال" هي مشهد أمر فيه الملك البابلي محاربينه بقتل ملكته ومحظياته. ويُرى باللوحة محارب قوي البنية بارد التعابير يمسك بامرأة عارية من الخلف ويطعنها بسكين من الأعلى، وقد أحنت تلك المرأة ظهرها للوراء. وضجت اللوحة التي يبلغ عرضها خمسة أمتار وطولها أربعة أمتار بالقتل والمجازر. وفي ركن اللوحة الأيسر يمكن رؤية محارب أسود البشرة يجر حصان الملك الأصيل لإعدامه لاحقًا.

لكني لا أحب هذه اللوحة بسبب طابعها الرومانسي المنمق. كان هناك ثمة شاهد على كل ما يحدث باللوحة في الزاوية اليسرى العلوية، وهو ساردانابال الملك البابلي. كان الملك يحدق في الدم المتدفق من جثة والدته ومحظياته متكئًا بذراعه على وسادة. وهو آخر ما يجذب الانتباه في اللوحة، وذلك لأنه مرسوم بألوان داكنة وفي زاوية متوارية من اللوحة. بينما مشاهد القتل تبرز بألوان زاهية وبراقة، إضافة إلى أن النساء المغدورات كن عاريات. وفي النهاية عندما تقع عينك على ساردانابال لا يسعك سوى حبس أنفاسك. فالتناقض بين الملك الذي يشاهد هزيمته بهدوء والنساء اللواتي تحتضرن هو أبرز ما في هذه اللوحة. والملك ساردانابال الذي يشاهد هذه الكرة المستعرة من العنف هو ديلاكروا نفسه. فقد أراد أن ينصب نفسه إلها. لكن من أتعاطف معه حقًّا ليس ديلاكروا، بل ساردانابال، الملك التعيس الذي أقام مأدبة موت دامية في بابل المحتضرة.

إذا قام رسام عادي برسم هذه اللوحة، لكان صور ساردانابال حزينًا وذراعيه فوق رأسه. لكن ديلاكروا كان قد فهم مكنون شخص أراد أن يترأس الموت.

قررت الخروج إلى غرفة المعيشة وري زهوري بعد انقطاع طويل. الزهور التي تملأ غرفة معيشتي تبدو دائمًا على نفس الحال، لا تزهر بتلات جديدة

ولا تذبل القديمة، ولا تتساقط وتنزف مثل زهور الكاميليا بمعبد سون اون البوذي. أروي زهوري البلاستيكية التي ابتعتها عندما انتقلت إلى هنا مرة واحدة في الأسبوع. وأنوي التخلص منها تمامًا وشراء تنسيقات زهور جديدة بحلول الشهر المقبل.

ميمي، العميلة الوحيدة التي أتت إلى شقتي، ارتجفت من الزهور البلاستيكية في غرفة معيشتي. وعندما أدركت أنها مزيفة، رفضت الاقتراب منها.

- لماذا لديك الكثير من هذه الزهور المزيفة؟

- سواء كانت مزيفة أو حقيقية، فهي فقط لغرض الزينة.

عادت ميمي إلي مرة أخرى، لكن هذه المرة بدت أكثر إشراقًا وسعادة.

- هل قابلتِه؟

أومأت ميمي برأسها قائلة:

- لقد كان مشروعًا رائعًا. لكنه لم يستطع إنقاذي.

- لا يستطيع أحد إنقاذ أحد.

رقصت ميمي لفترة طويلة مع أغنية "الكل يعرف"(12) لليونارد كوهين قبل دخول حوض الاستحمام. كان صوت ليونارد الأجش العميق الجاهوري يناسب رقصها. وكنت أسمع خرير المياه من خارج الحمام. بدا أن حوض الاستحمام كاد يفيض.

استمعت ميمي إلى الأغنية حوالي عشر مرات ثم ذهبت إلى الحوض، ووقفت عند المدخل أراقبها وهي تغمر جسدها ببطء في الحوض والماء يفيض خارجه. نظرت إلي وهي تحمل السكين وقالت:

- وداعًا، أشكرك على كل شيء، وأتمنى أن تظل أزهارك مزهرة إلى الأبد.

- وداعا يا ميمي.

أخذ الدم يسيل بسرعة. كافحت لتبقي عينيها علي وهي تفقد وعيها، ثم أغمضت عينيها ببطء. وحينها قررت أن هذا هو الوقت المناسب للمغادرة.

- سأذهب الآن، أتمنى لكِ رحلة سعيدة.

خلعت قفازي بعدما غادرت منزلها. دائمًا ما أرتدي القفازات عندما أذهب إلى منزل العميل حتى لا أترك أية بصمات. هناك عملاء يريدون ممارسة الحب مرة أخيرة، لكني عادةً ما أرفض. وإذا لزم الأمر أستخدم وسيلة عازلة، ليس فقط لتفادي المشاكل عند تشريح الجثة المحتمل، بل أيضا لمنع عبثية دب حياة جديدة في رحم جثة.

غادرت ميمي بخفة، وذهبت يهوديت بسلام. أفتقدهن بشدة في هذه اللحظة حيث انتهيت للتو من كتابة قصصهن. ستكون روايتي طوق زهور بلاستيكية يزين قبورهن. وكل من يقرأ هذه الرواية سيقابلني في وقت ما في حياته. في حديقة

مارونيير مثل يهوديت، أو في زاوية شارع هادئة مثل ميمي. وسوف أبادر بسؤال مفاجئ قائلًا: "هل قطعت كل هذه المسافة ولم يتغير شيء بعد؟" أو "ألا تستحق بعض الراحة؟" وعندما يحدث ذلك، أمسك يدي واتبعني ولا تنظر إلى الوراء حتى لو لم تكن لديك الشجاعة للمضي قدمًا. استمر حتى لو كان الأمر مؤلمًا ومرهقًا. وأنا لا أريد عملاء كثر. والآن أكثر من أي شيء آخر أريد قسطًا من الراحة، فحياتي لا تتغير أبدًا، ومرهق دائمًا، تمامًا مثل باقات الزهور البلاستيكية التي تزين غرفة معيشتي.

بعد أن أرسل هذه الرواية بالبريد سأذهب إلى بابل. هل ينتظرني شخص مثل ميمي ويهوديت هناك؟ أو مثل فتاة فيينا؟ لماذا لا يتغير شيء حتى بعد قطع كل تلك المسافة؟

---

(12)- "Everybody Knows" 1988.

جائزة "مونهاك دونجني - الحي الأدبي" الكورية 1996

في خضم التطور السريع الذي شهدته مدينة سيول في التسعينيات، يقع الأخوان "س" و"ك" في حب نفس المرأة. ثم تبدأ رحلتهما اليائسة في العثور على علاقة حقيقية تربطهما في عالم ضيق وصغير. يطارد الراوي الغامض حياتهما وهو يشرح طبيعة عمله في مساعدة الأرواح الضائعة والمتألمة على الخلاص من خلال الانتحار. في هذه الرواية، تبدو كوريا الجنوبية -التي اعتدنا عليها كالحلم الجميل- سينمائية في إلحاحها على مواكبة الحياة المعاصرة السريعة التي اجتاحت العالم خارجها.

"حقي في تدمير نفسي" هي رواية درامية صادمة عن التاريخ والفن والموت، حققت رغبة مؤلفها في وضع الأدب الكوري على خريطة الأدب العالمي، وقُدم من خلالها كصوت أدبي رائد لجيله.

كيم يونج ها: كاتب وروائي كوري معاصر مواليد 1968، وهذه الرواية هي باكورة أعماله والتي قدمته للساحة الادبية الكورية والعالمية حيث ترجمت إلى أكثر من أربع عشرة لغة. عُرف بمهارته في نقل الصراعات النفسية الداخلية وتطرقه لقضايا لا يناقشها الأدب الكوري عادةً، وعرضه لها بجرأة شديدة مثل الانتحار والاغتراب وغيرها من مشاكل الرأسمالية الحديثة. دائمًا ما يولي اهتمامًا كبيرًا للفنون في رواياته مثل الرسم والنحت والموسيقى. نال شهرة واسعة بعدما حاز على جائزة "دونج إن" الأدبية عام 2004. وقد حاز خلال مسيرته الإبداعية على العديد من الجوائز في كوريا، مثل "هيونداي الأدبية" 1999، جائزة "لي سان" 2004، جائزة "مان هيه" 2007، جائزة "لي سانج" 2012.

Cover design by: Alaa Elnewehy

ISBN 978-977-821-344-7
9 789778 213447

SEFSAFA PUBLISHING HOUSE
WWW.SEFSAFA.NET

t.me/twinkling4